ورشة علمية | Seminar

السويداء بين ذاكرة التاريخ ورهانات الثورة
مقاربة سوسيولوجية وسياسية لحراك 2023

Suwayda Between Historical Memory and Revolutionary Stakes
A Sociological and Political Approach to the 2023 Uprising

المشاركون

مكرم رباح: أستاذ التاريخ في (الجامعة الأمريكية في بيروت)، كبير المستشارين في شركة "كوانت كوميونيكيشنز"، من مؤلفاته: "النزاع على جبل لبنان، الذاكرة الجماعية وحرب الجبل".

سامر بكور: أكاديمي سوري، أستاذ العلوم السياسية والعلاقات الدولية في جامعة إكستر بالمملكة المتحدة، باحث في مركز حرمون للدراسات المعاصرة، تتركز أبحاثه على العلاقات الأميركية - العربية، والتهجير القسري، والنزوح الداخلي والخارجي، والحرب السورية. صدر له مؤخرًا كتاب "التغريبة السورية: الحرب الأهلية وتداعياتها المجالية والسكانية 2011-2020" في جزأين.

إعداد وتقديم

مضر رياض الدبس: باحث وسياسي سوري، محاضر في الفلسفة السياسية في جامعة بادوفا في إيطاليا، من مؤلفاته: "مفهوم المواطنة أو صورة السيتزنية في المستقر الإيماني"، و"في ضوء الألم، تفكير في بنى الاجتماع السياسي السوري".

عقدت الورشة عبر (زووم) يوم السبت، السادس من تموز/ يوليو 2024، الساعة الخامسة مساء بتوقيت دمشق.

مضر رياض الدبس | Moudar Riyad Al Debis

تقديم وأطروحات مبدئية

الحديث عن حراك السويداء الأخير الذي ما يزال مستمرًا منذ آب 2023 حديث بالضرورة عن السويداء سوسيولوجيًا وسياسيًا، ولهذا السبب عينه هو حديث عن الثورة السورية أيضًا بالضرورة، وعن قدرتها على التعبير عن نفسها، وتطور بنيتها، ومقاربات أبنائها، وطرائق الفعل فيها منذ 2011 إلى الآن. ومن ثم، فإن الحديث عن السويداء اليوم تمرين راهن ينتمي إلى التفكير في السؤال الذي يؤرق السوريين كلهم: ما العمل؟ ولكن الوصول إلى مقاربة هذا السؤال الكبير من زاوية السويداء، لا بد من أن يمر عبر مجموعة من النقاط التمهيدية الآتية، ولو بصورة مكثفة.

أولًا: في سوسيولوجيا السويداء السياسية قبل 2011

سوسيولوجيا السويداء مجموعة ظواهر أنموذجية مرتبطة بسوسيولوجيا الهوية بصورة مكثفة. وغير ممكن بناء مقاربة للبنية الاجتماعية في السويداء والسلوك الاجتماعي فيها من دون الاستعانة بمفهوم الهوية. وبطبيعة الحال، ثمة عدد من الأدلة -لا يتسع لها هذا التقديم- للقول إن هذه الهوية عصبية بالمعنى الخلدوني؛ لكنّها ليست هوية طائفية (درزية)، وليست قبلية، أو عشائرية، أو عائلية، أو مناطقية، وهي بطبيعة الحال ليست هوية سياسية. هي الخلطة التي نتجت من لقاء التاريخ (تحديدًا ذاكرة 1925 الضخمة) مع التراث، بوساطة دائمة من الدين الذي يدخل هذا التفاعل بوصفه ثقافة، أو عادات وتقاليد. من الممكن الحديث عن مجتمع السويداء من زاوية ذاكرة جمعية بطولية فخرية لا تشجع على التفكير النقدي كثيرًا، وتحولت هذه الذاكرة نفسها إلى جهاز هُووي عملاق للانتماء، وصار كل نقد لهذا الانتماء لا بد من أن يمر من خلال تمارين مؤلمة على النسيان. يمكن بتكثيف شديد توصيف السويداء على مستوى الاجتماع السياسي قبل 2011 بأنها متحف اجتماعي مفتوح لـ (1925).

بطبيعة الحال، تعرضت هذه الهوية قبل 2011 إلى اختبارات كثيرة، لا مجال لذكرها كلها، ولكن نركّز على حدثين لافتين ومهمين تعرضت السويداء فيهما إلى اهتمام أمني من النظام السوري قبل 2011، وما يزال هذان الحدثان حاضرين في الذاكرة القريبة، ويمكن الافتراض بتقديراتنا أن لهما تأثيرًا في وضع السويداء وموقفها في أثناء الـ 2011؛ الأول الصدام مع البدو في بداية رئاسة بشار الأسد في عام 2000، والثاني اغتيال رفيق الحريري في لبنان في 2005 وموقف وليد جنبلاط المتقدّم ضد النظام السوري في أثناء ذلك.

1. الحدث الأول: واقعة الخلاف مع البدو في 2000

وهي أحداث دامية نتيجة خلاف وقع بين أهالي السويداء الحضر، والبدو الذي يسكنون المدينة على خلفية تراكمات مرتبطة بخلاف يحيل جذره على علاقة خلافية معروفة بين راعٍ تعتدي مواشيه على المحاصيل من جهة، والفلاحين أصحابِ المحاصيل من جهة أخرى. ولكن الخلاف في ذاك الوقت انفجر نتيجة قتل البدو أحد أهالي بلدة (الرحا)، وامتد إلى السويداء كلها. وكان فيه مفاجآت صادمة؛ الأولى أن البدو كانوا مسلحين أكثر مما توقّع أهل الجبل، والثانية أن القتلى من أهالي السويداء قتل غالبيتهم الجيش والأمن وليس البدو، والثالثة أن الحادثة كانت اختبارًا ناجحًا للعصبية الدرزية حيث حصلت حالة هيجان كان من الممكن أن تنفلت إلى ثورة عارمة، وصولًا إلى إنزال العلم السوري عن مبنى المحافظة، ورفع راية الحدود الدرزية الخمسة مكانه. وأيضًا، كانت الحادثة اختبارًا للعقلية الأمنية للنظام بعد انتشار فكرة (الرئيس الشاب الذي يقود التغيير)، فاختبر أهالي السويداء مبكرًا العقلية القمعية والعنف المفرط، ولولاهما، لكان ثمة احتمال كبير أن يتحول التململ المجتمعي في 2000 إلى حالة سياسية ضد النظام نفسه. أهم ما يمكن قوله إن السويداء اختبرت عن قرب الموت على يد النظام قبل 2011، واختبرت مدى استعداد النظام

لقتل السوريين عند التعامل مع أي ملف يستشعر فيه أدنى درجات التهديد.

2. الحدث الثاني: اغتيال الحريري

بعد اغتيال رفيق الحريري، في (14 شباط/ فبراير 2005) في لبنان، اتخذ الزعيم الدرزي رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط موقفًا حاسمًا صريحًا معاديًا للنظام السوري، أدى مباشرة إلى اهتمام أمني لافت بالسويداء من قبل النظام استباقًا لأي صدى لتصريحات جنبلاط القوية ضد النظام في السويداء قد يؤدي إلى قلق داخلي في وقت حساس، كان فيه النظام يستشعر مدى جديّة حوادثه، ويدركها. ويمكن رصد التطورات في السرد المختصر الآتي:

- في مراسم تشييع رفيق الحريري ألقى جنبلاط كلمة قال فيها مخاطبًا النظام في دمشق: "لماذا جعلتم لبنان يكره سورية"، وفي (20 شباط/ فبراير 2005) كان لوليد جنبلاط الدور الأبرز في إطلاق (انتفاضة الاستقلال)، وقيادتها، والعمل على إسقاط إميل لحود وأركان نظامه، والانسحاب السوري الكامل من لبنان.

- في (20 آذار/ مارس 2006) قال: "لن يرتاح بلد ديمقراطي مثل لبنان، يجاوره نظام ديكتاتوري، وحفنة من العائلية السياسة، تقبض على سورية ومصيرها".

- في (28 حزيران/ يونيو 2006) زار بشار الأسد السويداء، وألقى كلمة أمام الجماهير، من شرفة مبنى المحافظة، ركّز فيها على الصمود والتصدي، وقدم وعودًا تنموية لسكان المدينة، وتحدث عن جيل الآباء "ممثلاً بالقائد الخالد حافظ الأسد، وبالقائد المجاهد سلطان باشا الأطرش"، والتقى جيل الآباء؛ "فنحن أبناء وأحفاد الثورة والمقاومة، نلتقي اليوم؛ لنحمل الشعلة، ونكمل المسيرة الى الأمام". أراد الأسد أن يلتقي أبناء الثورة، أي أبناء سلطان الأطرش مع أبناء المقاومة، أي أبناء حافظ الأسد. وأضاف الأسد يومئذ: "هذه الوحدة الوطنية التي نفخر بها ترسل الرسائل المختلفة في كل الاتجاهات، ترسل الرسائل للأعداء والعملاء المأجورين؛ لأن السويداء بلد البازلت، هي صخرة بوجه المخططات المعادية"، وأضاف أيضًا: "سورية هي صخرة وطنية عصيّة على الاختراق، والسويداء هي الصخرة الأقوى في هذه القلعة". ثم ملأت هذه العبارة التسويقية شوارع مدينة السويداء بعد ذلك، وكُتب تحتها: "من أقوال الرئيس بشار الأسد"، وكان من اللافت للانتباه، في تلك المدة، صورة ألصقها النظام - بكثافة - على جدران المدينة، تجمع سلطان الأطرش (في المنتصف) مع بشار الأسد وحسن نصر الله (الأمين العام لحزب الله اللبناني) بوصفه (رمزًا من رموز المقاومة)، وفُتحت أبواب المراكز الثقافية الحكومية أمام الشعر الشعبي الذي أخذ ينظم قصائد جديدة وكثيرة، تمجّد الثلاثة، وتلمّح لـ (خيانة جنبلاط).

واستنادًا إلى ما سبق، يمكن بناء أطروحة تقول إن السويداء كانت اختبارًا مبكرًا لعنف النظام تحت إدارة بشار الأسد قبل 2011، وفي هذا قد تشبه القامشلي في عام 2004 السويداءَ عام 2005، ولكن المشهد في السويداء قد يكون أكثر تعقيدًا. وعليه، فقد وصلت الثورة السورية في 2011 إلى سويداء مُعنّفة بأكثر من نوع من التعنيف سلفًا؛ سويداء مقموعة في عام 2000، وسويداء مدروسة أمنيًا، ومخترقة بصورة ممنهجة ومكثفة بدءًا من 2005.

ثانيًا: في سوسيولوجيا السويداء السياسية بين آذار 2011، وآب 2023

ثمة كثير من الأحداث والمواقف اللافتة التي أثرت مباشرة في هوية السويداء، وتفاعلت تفاعلًا مباشرًا معها بعد 2011، ولكن لنبدأ بقول الآتي: إذا كان هاجس الهوية يفسد (الذات الفاعلة) دائمًا، وهو كذلك، وإذا كانت الوحشية تتناقض مع الذات الفاعلة مثلما تتناقض فكرة العنف مع فكرة المجتمع؛ فإننا نميل إلى القول إن تاريخ الذات الفاعلة في السويداء قد بدأ في 2011، مثل سورية كلها. بدأ مع أول

صدى لصوت درعا في (القريا) في آذار/ مارس 2011، ثم في ذكرى الاستقلال في 17 نيسان/ أبريل، وفي (ساحة الشعلة)، واعتصام المحامين، وتظاهرة ساحة المحافظة، و(شهبا)، وما إلى هنالك الكثير. أي إن السويداء كانت حاضرة سوريًا منذ اللحظات الأولى، ولكنها لم تكون حاضرة حضور الهوية بل حضور مجموعة من الذوات الفاعلة، لأن الهوية كانت مكسورة سياسيًا، واستُكمل كسرُها الذي بدأ عام 2000. لم تعد هذه الهوية صالحة للسياسية الثورية في إثر عطب النظام المبكر لها، وخرقها، وإحداث ثغرات فيها تحديدًا بعد اغتيال الحريري. وبطبيعة الحال كان على هذه الذوات الفاعلة أن تتعرى هوويًا، وأن تجد نفسها في أحيان كثيرة في مواجهة الهوية وجهًا لوجًا. وهذا بتقديرنا لم تنجُ منه حتى الحركات التي تعتز بالهوية وتتمسك بها، مثل حركة رجال الكرامة عندما كانت بقيادة وحيد البلعوس الذي تعرض للبعدة الدينية بتوقيع مشايخ العقل الثلاثة. مع أن مشايخ الكرامة لم يتخلوا عن التأسيس الهُووي لأنفسهم، والتدبير الهُووي لأصالتهم بوصفها تتعرض لخطر حقيقي وجودي، إلا أنهم كانوا في أحيان كثيرة في مواجهة الهوية نفسها. ويمكن أيضًا تحديد لحظات مهمة على صعيد الاهتزاز الهووي في السويداء بين 2011 وآب 2023 بالآتي:

1. الظاهرة البلعوسيّة

تأسست حركة رجال الكرامة في 2013، وكان قائدها وحيد البلعوس، وهو شيخ دين درزي، لم يكن معروفًا على نطاق واسع قبل تأسيس الحركة، واغتيل في حادثة تفجير سيارته في أيلول/ سبتمبر 2015. وقد نميز بين البلعوس بوصفه شخصًا، والبلعوس بوصفه ظاهرة تتضمن تأسيس حالة اجتماعية جديدة وليدة في السويداء نسميها (البلعوسية). ولا تعني البلعوسية حمل السلاح من رجل الدين، ومعارضة النظام بالقوة، ومقاومة التجنيد، والمحافظة على حيادية الدروز، وما إلى ذلك، بقدر ما تعني تأثير ظاهرة رجال الكرامة في خلخلة البنية الاجتماعية المتوارثة في السويداء، وتأثير هذه الظاهرة في الهوية نفسها، فقد نجحت البلعوسية في آنذاك في خلخلة الفهم الماضوي للكرامة من دون الاستغناء عنه، ومن ثم كان لها مقاربة جديدة لنوعية الفخر ومصادره، وطرائق والرضا عن الذات الجمعية، بوصفها مسائل مرتبطة بالحاضر مباشرة، خلخلته، لكنها لم تتركه. وتضمنت البلعوسية أيضًا تجديدًا في نمط التفكير ضمن المجتمع الديني الدرزي التقليدي نفسه الذي يتمثل بنمط تفكير مشايخ العقل. وتضمنت تكوين كاريزما دينية منزلتها الاجتماعية تأتي من دورها الفردي؛ فالبلعوس لم يرث عن أبيه وجده مجدًا وشهرةً،، وليس له صفة دينية أو غير دينية سابقة على سلوكه الفردي بل هو فرد متدين صار ينافس شيوخ العقل في الوجدان الجمعي بحنكة واحترام، ومن دون تجاوز أحد، وما قامت به ظاهرة مشايخ الكرامة كان خطوة مهمة في هذا السياق، إذ إنها -وإن هي لم تخرج عن قاعدة حكم الدين باسم الأصالة- اهتدت إلى الأصالة بصورة أكثر تقدمًا عندما طوّرت من وعيها السكوني الدرزي المحلي المنغلق على ذاته إلى وعي أكثر عقلانية ذي طابع سوري وطني تفاعل مع الهم السوري العام آنذاك.

لعبت هذه الظاهرة باختصار دورًا مهمًا في مستوى مقاومة الحالة السكونية في الهوية، ومقاربة الكرامة بدلالة الحاضر قبل الماضي، وهذا الأمر تراكم إلى اليوم، حتى بعد تشتُت الحركة نسبيًا، وكان له انعكاسات في العقل الجمعي في السويداء، وفي فكرة الكرامة ومقارباتها بالمجمل. وإن ظاهرة رجال الكرامة، إن لم تقم بأي دور سوى هذا الدور، فهذا كاف لنراها ظاهرة مُهمّة، وهذه الظاهرة من أهم الأسباب غير المباشرة لما نراه اليوم، لأنها أدت إلى تجاوز الوعي السكوني الذي أثّر في المجتمع والطائفة إلى وعي وطني يرى أن شرط بقاء الجماعة يشترط التصاقها بالوطن. ولهذا الأمر أهمية أيضًا بالنظر إلى أن الدين في السويداء لا يتصدر بل يدير المسائل من الخلف، وهذه مسألة مهمة تحتاج إلى حديث مفصل في سياق آخر.

2. لحظات قتل جماعي

وتتلخص في لحظتين؛ واحدة منها مأساة حقيقية، وهي المجزرة التي قامت بها (داعش) في ريف السويداء الشرقي في تموز/ يوليو عام 2018، والتي قتل في إثرها أكثر من 200 شخص، وأُصيب 200 آخرون من أبناء القرى الشرقية، واختُطِفت مجموعة من الأهالي قبل أن يُطلَق سراحهم.

تركت هذه المجزرة من دون شك جرحًا نرجسيًا واسعًا في المجتمع، مصحوبة بقناعة الغالبية العظمى من الناس بأن النظام السوري شارك بصورة أو بأخرى في التحضير لهذه المجزرة، وسهّل ارتكابها، أو في أحسن الأحوال قصّر في تفاديها وفي حماية الناس منها بعد أن وقع الهجوم؛ فمن تكفّل بصد الهجوم هم الأهالي المدنيين، وفصائلهم المحلية المسلحة تسليحًا متواضعًا.

وثمة لحظة موت ثانية أيضًا، في أيلول/ سبتمبر عام 2020، في معركة في أراضي بلدة القريا الزراعية الواقعة بين بلدة القريا في السويداء وبصرى في درعا، كان طرفا المعركة فصائل محلية من قوى الدفاع الوطني، إضافةً إلى قوى أهلية من السويداء شاركتهم حركة رجال الكرامة من جهة القريا، والفيلق الخامس المدعوم روسيًا في آنذاك بقيادة أحمد العودة من جهة بُصرى، حيث احتل الأخير أراضٍ زراعية، وأقام متارس فيها. قتل في هذه المعركة أكثر من ثلاثين شابًا من شباب السويداء. وتركت هذه المعركة أثرًا عميقًا أيضًا في السويداء، وطرحت عددًا الأسئلة حول السلوك المجتمعي سياسيًا، من ثم عسكريًا، ومن ثم أسئلة عن حلفاء السويداء وأعدائها بصورة أكثر عمقًا ودقة.

3. الـ (بدنا نعيش)

قد تكون ظاهرة الـ (بدنا نعيش) ترجمةً من ترجمات البلعوسية إلى المستوى المدني، وهذا يستحق التفكير بحق من الباحثين المهتمين بالسويداء.

ظاهرة الـ (بدنا نعيش) حملة أطلقها مجموعة من الشباب في السويداء في مطلع عام 2020، حاولت بناء نفسها من مدخل الوضع الاقتصادي الخانق، ويمكن بتقديرنا أن نطرح أن الـ (بدنا نعيش) تسمية خلّاقة، وإمكانها سينتج منها بالضرورة شيئًا له طابع مختلف. الـ (بدنا نعيش) قد تكون بداية تعافٍ متأخر ينتمي إلى ما بعد 2011، تعاف من كسور الهوية ومعاناتها من النظام الذي حصل قبل 2011. وقد نذهب إلى أبعد من ذلك لنقول إن إقحام العيش في المسألة مهم على صعيد آخر يختص بالمستقبل، هو صعيد المنهجية وطرائق الفعل السياسي. فالـ (بدنا نعيش)، بوصفها فكرة منهجية، فكرة على النقيض من فكرة الربيع العربي على المنهجية البوعزيزية (نسبةً إلى محمد البوعزيزي في تونس)، وكأنها تدشن فكرةً منهجيةً جديدة تقول إن الفعل الاحتجاجي لم يعد يتأسس على (الانتحار الإبداعي) على طريقة محمد البوعزيزي بل على فكرة العيش، وهذا يجعلنا نطرح أيضًا أن هذه المنهجية قد تؤدي إلى التفكير في إنتاج الحياة سياسيًا، وإن كانت لم تفعل إلى الآن. الـ (بدنا نعيش) في العمق الفلسفي للظاهرة الاجتماعية تعني أن الاحتجاج لم يعد رد فعل بل صار فعلًا بذاته. وهذا لا يعني أننا عند هذا الحد نمتلك أجوبة لأسئلة مهمة مرتبطة بهذا النمط من التفكير مثل: هل هذا الفعل واع لذاته؟ هذا يحتاج إلى بحث وتفصيل، ولكن لو أتيح لهذا النمط من الظاهرات ترجمةً سياسية من جنسها الاجتماعي، لكان سيعني بالضرورة حقبة جديدة في الثورة السورية عنوانها أن (الانتحار بالثورة) تحوّل إلى (حياة بالسياسة الثورية)، وبموجب ذلك يصير النظام تفصيلًا مزعجًا ينبغي تدبير قتله بصورة أخلاقية. وفي الأحوال كلها ظلت الـ (بدنا نعيش) من دون ترجمة سياسية، ولكنها بالتأكيد استطاعت أن تكون لحظة فارقة على مستوى الفعل السياسي لهوية السويداء المحلية.

ثالثًا: في سوسيولوجيا السويداء السياسية بعد آب/ أغسطس 2023

بموجب المقاربة السابقة، ثمة ترابط بتقديرنا في وحدات الزمن في السويداء، وتصنع هذه اللحظات مسارًا دلاليًا مفاصله الأساس نرسمها كالآتي: أحداث الخلاف مع البدو الدامية 2000، ثم أثر اغتيال الحريري وموقف جنبلاط من ذلك في السويداء في 2005، ثم لحظة الثورة السورية في 2011، ثم الظاهرة البلعوسية 2013 إلى 2015، ثم لحظة موت جماعي (في مجزرة القرى الشرقية 2018)، ثم ظاهرة الـ (بدنا نعيش) وما تفرع منها في مطلع عام 2020، ثم موت جماعي آخر (معركة القريا في منتصف 2020)، هذا كله كان حاضرًا مع انفلات الأمن المتصاعد تدريجيًا، وتجاوز الشبيحة أبسطَ حدود الأخلاق في القتل والخطف والتنمر والتهريب وإذلال البشر وتجارة الكبتاغون ونظام العصابات وتناحرها، وتأزم الوضع الاقتصادي والمعيشي.

وهكذا صار المناخ العام مُهيّأً لحراك واضح المعالم ضد النظام، لم يشارك فيه المؤيدون، لكن لم يقمعه الشبيحة، أو تجاهلوا أوامر قمعه في البداية، وقد بدأ هذا الحراك يتبلور منذ 2020 إلى أن وصلنا إلى حالة مفصلية فارقة في آب/ أغسطس 2023.

لحظة آب/ أغسطس 2023 هي لحظة تفريغ أدرينالين الهوية في السويداء الذي كان يصطدم بطرائق الهوية نفسها في التعبير عن نفسها سياسيًا، وأبرز هذه الطرائق هي الذاكرة (ذاكرة 1925 ودائرة الفخر بها). وهذا مشروع كان ينبغي أن يُنجز طلاقًا سلوكيًا بين الذاكرة والإرادة تمهيدًا للدخول في معادلة (الشعب يريد)، وذلك استنادًا إلى تحليلنا السابق بأن الفاعلين في سياق 2011 في السويداء قبل آب/ أغسطس 2023، هم ذوات متحررة من سطوة الهوية، وليست الهوية نفسها فاعلة مثل درعا مثلًا. وهذا يعني، أو يجعلنا نتوقع، أن تنجز ساحة الكرامة مشروع نسيان الفخر في 1925 بوصفه فخرًا فاقد الصلاحية، ولكن هذا لم يحصل. الذي حصل هو أن الهوية استحوذت على ما أنجزته الذوات الفاعلة، وعادت هذه الأخيرة فانخرطت في مشروع هووي جديد، ووضعت نفسها تحت تصرفها بقيادة معنوية من شيخ من شيوخ العقل الذي غيّر مقارباته وحسم أمره وهو الشيخ حكمت الهجري.

قبل آب/ أغسطس 2023 كان في السويداء من يعادي الأسد، وبعد آب/ أغسطس 2023 صارت هوية السويداء كلها تعادي الأسد، وهذا مفصل مهم وخطر في الوقت ذاته؛ مهم لأن فيه حسمًا بانضمام السويداء رسميًا من دون شكوك أو لبس إلى ظاهرة الثورة السورية ضد بشار الأسد، لأن فيه انهيارًا لكل الجهد الذي عمل عليه النظام منذ 2005، مرورًا بأعمال وفيق ناصر وخلفائه، وصولًا إلى 2023؛ وخطر لأنّه هووي، الأمر الذي قد يكرر تجارب 2011 الكارثية، فينتج إمكانًا لـ (درزية سياسية) تزيد مشكلات الثورة واحدة. فالهويات لا تتحاور، وليس بينها مشتركات، القابل للحوار وصناعة المشتركات هم الذوات فحسب. وفي نقل الحوار من حوار هويات إلى حوار ذوات تأسيس فعال لمشروع الحرية جديد وضروري لم يأت بعد في سورية كلها.

قد يمهد ذلك للتفكير في أطروحة مفادها أن مشكلات السويداء منذ 2023 تشبه مشكلات الثورة السورية في 2011، وقد نلاحظ من هذه المشكلات المشتركة ما يمكن أن نسميه (نرجسية الجمهور)، وكأن نشوة التظاهرة لها سحر يجعل ساحة الكرمة أفيونًا جديدًا. ومنها أيضًا (شبحيّة السياسية)، وكأن السياسة شبح، إما نرفضه بالمطلق، أو نقترب منه اقترابنا من شيء متعال، ومنها غياب القدرة على ترجمة الفعل الاجتماعي إلى فعل سياسي، وتضخم الذوات، وتناحرها، والغيرة، والحربقة، واللف، والدوران، وغيرها.

1. ما المُمكن، و أين مكمن الخلل؟

حراك السويداء فرصة سورية تاريخية، ليست الأولى بطبيعة الحال، ولكنها فرصة مهمة بالضرورة، وقد لا تتكرر. وهذا يطرح سؤالًا مهمًا: هل خيار الاستثمار في هذه الفرصة خيار السويداء وحيدةً، أم خيار السوريين جميعهم؟ بطبيعة الحال، هذا سؤال مهم نميل إلى القول إنه لا هذا ولا ذاك بل هو مزيج ابداعي من هذا وذاك، إنه فن فهم الراهن من أجل المستقبل، والعمل بموجب هذا الفهم. هذا لا ينفي أن لحظة آب/ أغسطس 2023 ولدت في جو من الإخفاق السياسي العام في سورية، إضافةً إلى إخفاق عام للضمير ناتج من ركاكة السياسة التي تبنها (المعارضة الرسمية)، أو غيابها، إن لم نقل تابعيتها لدول ومشروعات أيديولوجية لا علاقة للسوريين بها.

نميل إلى القول إن المُمكن مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتحديد مكامن الخلل بعمق ودقة. ما الذي يمكن أن يقدمه حراك السويداء في المشهد السياسي السوري العام؟ وسؤال آخر: كيف يحدد حراك السويداء مكامن الخلل فيه؟ هذان سؤالان متطابقان، إجابة الثاني هي بالضرورة إجابة الأول في هذا الوضع الراهن. وعليه نطرح الآتي:

قلنا في السابق إن النظام منذ 2005 ركّز على إحداث فجوات في هوية السويداء في مستوى الاجتماع السياسي، فدخلت هذه الهوية إلى 2011 مكسورة سياسيًا، ومخترقة أمنيًا بل في أحيان كثيرة صارت سلاحًا بيد قوى النظام الأمنية والسلطة. فلم تتمكن السويداء من دخول مشروع الـ 2011 على مستوى الهوية، وكان عليها أن تنتظر حتى آب/ أغسطس 2023 كي يتم ذلك، وكان هذا التأخير نصرًا

حقيقيًا للنظام على السوريين كلهم، وليس على هوية السويداء وأهلها فحسب. حضرت السويداء في 2011 بصورة ذوات فاعلة تحاول الفعل من دون حاضنة، وقد عملت هذه الذوات كل ما استطاعت فعله، ودفع بعض منها حياته ثمنًا لذلك، وثمة كثير من الأمثلة. قامت الهوية في السويداء في 2023، وهبت هبةً مدهشة، وتغيرت المعادلة، ولكن بقيامها انبهرت الذوات الفاعلة، مثل انبهار السياسيين بالحدث في 2011، فصارت تُغازل الهوية، ونتج من ذلك نرجسية الشوارع والساحات. صار من غير الممكن التمييز بين السياسة والتظاهرة، وفقدت التظاهرة حقها في أن تترجم إلى سياسة تحقق أهداف القائمين عليها.

بتكثيف شديد يفرضه الحجم المحدد لهذا النص نطرح الآتي: إن مكمن الخلل الرئيس في السويداء هو مكمن الخلل ذاته في الـ 2011: ذوات فاعلة تضيع في مفهوم الهوية، وبكلمة أخرى: شارع حيوي، يهدر طاقاته مشروع سياسي هووي. ومن ثم هذا مؤشر إلى أننا نحن السوريين لا نراكم، وهذا لأننا لا نفكر بالراهن، ونكتب فيه، ولا نوقّع أحداثه سياسيًا، إلا نادرًا.

نضع أطروحة أخرى للتفكير فيها في هذا السياق أيضًا كالآتي: يبتذل هذا الخلل السابق ذكره مفهومين منتشرين بكثرة في السويداء، الأول هو مفهوم الكرامة، والثاني هو مفهوم العلمانية. الكرامة في العمق على المستوى السياسي هي ذات بلا هوية، ولا كرامة في السياسة لمن يتهوى، في السياسة الكرامة لمشروع المواطن (أي للفرد)، هذا لا يعني أن الجماعات من دون كرامة بل يعني أن كرامة أي جماعة تبدأ من كرامة أفرادها (والحديث على المستوى السياسي بطبيعة الحال)؛ من ثم السيادة أيضًا، فلا معنى للحديث عن أي سيادة من دون سيادة الفرد (مشروع المواطن). الكرامة في السويداء اليوم لا تكون إلا بمزيج من النسيان والابتكار، نسيان فكرة الفخر بالماضي، وصناعة الفخر حاضرًا ومعيشًا، وابتكار المستقبل. الكرامة ضرب من تدبير الذكرى بصورة تستهدف المستقبل، أو لنقل إن الكرامة هي الذكرى المرتبطة بالمستقبل، وليس بالماضي؛ فلا يعيش البشر على ذكرى أمواتهم أكثر مما يعيشون لتحقيق آمال أطفالهم، وبتصورنا كان في البلعوسية التلقائية شيء من هذه الفكرة. في الأحوال كلها، ليس المطلوب إيجاد مخرج لحل مشكلة الآخر (غير الدرزي) بل تغيير الإشكال من جذره. فالتسامح والتعايش وتعابير كثيرة من هذا النوع هي تعابير هووية يريدها النظام ومن تشبّه به من المُعارضة، وليس السوريين العاديين أصحاب مشروع الحرية.

وأما العلمانية، فلا تبدأ من فصل الدين عن الدولة وهذه الشعارات الكثيرة والمزاودات، العلمانية تبدأ من نزع السحر عن الفكر، من نزع السحر من ساحة الكرامة، من فصل الهوية عن السياسة، ثم بعد ذلك ننظر في أمر الدين. العلمانية كما هي في السويداء الآن تسبب انفصام شخصية واضح المعالم؛ أنا علماني، ولكني مع شيخ العقل. وهذا لا يعني أن عيبًا في أن تكون علمانيًا، أو عيبًا في أن تكون مع شيخ العقل، وتستشعر أهميته، ولكن يعني خللًا في الخطاب السياسي، وضبابية في الفهم، ومن ثم عقمًا في الإنتاج، وهدرًا للطاقات، ونظرة سطحيّة في تقدير دور الدين في المفاصل الكبرى. لا يمكن أن تتحدث السويداء بلغة 1925، وتعيش بأسلوب 2011، والعكس أيضًا غير ملائم.

إلى أي حد تنجح السويداء في بناء منهجية سياسية سورية جديدة غير فصامية؟ الجواب عن هذا السؤال في السويداء هو من أكثر محددات مستقبل هذا الحراك ونتائجه أهميةً. بطبيعة الحال، هذا ليس شأن السويداء وحدها بل شأن سوري وطني، وربما يتوسع سياق الحوار في هذه الورشة حول هذه المسألة: هل وطنية السويداء خيارها، أم خيار السوريين أيضًا؟

في الأحوال كلها قد نقول: وقع في السويداء لقاء سيئ بين السياسة والهوية، يحتاج حله إلى معاناة بفعل التفكير من دون أن يكون لدى أهل السويداء شيء يقلقون بشأنه؛ فلن يضيع شيء لا من الدين، ولا من الثقافة الاجتماعية والثقافة الدينية، إن تم التخلي عنهم عند العمل والتفكير سياسيًا، ما سيندثر هو المنهج فحسب؛ أدلجة الدين والثقافة، وأسطرة التاريخ. هذا درس مهم من دروس 2011 بتقديراتنا: نقد الذاكرة، ونقد الهوية.

2. تدبير الاختلاف

في السويداء أنواع كثيرة من الاختلافات التي تتعمق، وهي في مجملها تنتمي إلى نوعية الاختلافات السورية بعد 2011 ذاتها. لا شيء منها - ممّا خرج إلى العلن - سياسي في العمق، أو اختلاف مسوّغ. وثمة بدهية ربما تحتاج إلى مساءلة؛ هل كل اختلاف بين فئتين، أو مجموعة من الأشخاص وأخرى، أو بين أفراد، يحتاج بالضرورة إلى حل؟ بتقديرنا، ليست كل الاختلافات في الساحة تحتاج إلى حل بل إن غياب حل بعض المسائل، وتباين وجهات النظر ضروريان لبقاء الأسئلة مفتوحة؛ فهذا ليس زمان الأجوبة المنتهية، والإصرار (أي نوع من الإصرار) على أجوبة منتهية يعني بالضرورة صدامًا وشقاقًا، ويعمل بالضرورة ضد الاشتقاق؛ أقصد اشتقاق حالة سياسية تقوم على تدبير الاختلاف بوصفه طريقًا نموذجية لتأسيس فكرة الوطن سياسيًا.

وقد نجتهد بالاعتماد على الملاحظة العامة في تصنيف هذه الاختلافات التي تشغل الحراك بالآتي:

أ. خلاف بين (الدرزيات)

على المستوى السياسي لا توجد في السويداء درزية واحدة بل يوجد درزيات مختلفة بشدة، ومتناقضة في أحيان كثيرة. هذا لا يعني وجود أكثر من دين درزي بل يحيل هذا الحكم على العقلية التي تقبع خلف أدلجة الدين، ليكون مؤهلًا ليلعب الدور الأيديولوجي المطلوب منه. فالدرزية الجربوعية غير درزية الساحة (التي يدعمها الهجري)، وغير الدرزية الحناوية التي لها خصائص تميزها، وغير الدرزية البلعوسية الأولى، ثم البلعوسيات التي تفرعت منها، وكلها غير (درزية المواليين)، وغير (درزية الشبيحة) (درزية عصام زهر الدين)؛ وكلها أيضًا غير (درزية العلمانيين)، و(درزية الشيوعيين)، إلى ما هنالك. يمكن تتبع هذا النوع من الدرزيات بصورة واضحة في أثناء تحليل الخطاب القادم من السويداء، وفرزها بدقة ووضوح. أتباع هذه الدرزيات بينهم اختلافات صعبة الحل، وإن تمّ، فحلها لن يكون مفيدًا.

ب. خلاف اجتماعي

هذا اختلاف (العُبي)، وثمة فئة لا تنظر إلى كل الذي يحصل إلا بوصفه فرصةً لتفصيل عباية ملائمة لوضعية معينة من الزعامة، وهذا يحتاج في أحيان كثيرة إلى الانشغال في مسائل ليس لها علاقة بجوهر الفكرة وأصل المشكلات الراهنة.

ج. خلاف جذره نفسي

اختلاف يحيل على علم النفس، صعبُ التفسير من دون الاستعانة بمحللين نفسيين، منه ما يحيل على الغيرة، ومنه ما يحيل على تضخم الذات، ومنه ما يحيل على حب الظهور، ومنه ما يحيل على الحسد، إلى ما هنالك من ظواهر نفسية واضطرابات سلوكية.

بدا لنا أن انشغال الحراك بحل هذه الاختلافات يهدر الطاقات، وتركها تتوسع، يهدر الطاقات أيضًا، وليس لها حل إلا أن يسود خطاب واع من طريق صناعة حالة تجعل هذا النوع من المشكلات يبدو سخيفًا. لا بد أن تكون هذه الحالة حالة عمل، وحالة فعل سياسي، فعل بالكلمة، وفعل بالتواصل، وفعل بالأفكار الجديدة المبتكرة والمبدعة التي تحفز المناقشات في المسائل التي ترقى إلى أن تكون قضايا وطنية كبرى.

رابعًا: اقتراح من خلاصة هذه التقديم المُكثف

بصورة عملية يمكن أن نقترح أن تُشكَّل ورشات حراك ثوري اختصاصية لتنسيق الموقف، والسلوك، والخطاب. (تنسيق وليس توحيد) الاختصاصية تحيل على التواصل والعمل مع المناطق السورية لمناقشة مشكلاتها، ودعمها في حراك السويداء، وتبادل مشكلات السويداء معها. مثلًا: ورشة من حراك السويداء تختص بالوضع في الجزيرة ومناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، وأخرى اختصاصية بريف حلب الشمالي، وأخرى تختص بإدلب، وواحدة للساحل، وأخرى لدرعا، وهكذا. وتتواصل هذه الورشات مع مناطق اختصاصها باستمرار، وينسق بعضها مع بعض باستمرار، وتبلور مواقف وخطابات وطنية قبل التظاهرة، وتناقش الموقف من دول الإقليم، والعالم في

ضوء ما تتوصل إليه وتفهمه من المناطق السورية، ومن ثم تؤهل نفسها لبلورة عمل سياسي وطني أصيل بالتعاون مع شركائها على امتداد سورية. وبطبيعة الحال ثمة كثير من التصورات والمقترحات أيضًا التي يمكن اشتقاقها من الفكر والتفكير السياسي العقلاني والمسؤول. ولذلك قد تكون أهم نصيحة أن يكون في السويداء أيضًا لجنة تفكر، تدعم بالتفكير والاستشارة العلمية، وخصوصًا في دائرة الشيخ الهجري، فغياب التفكير يعني في العمق تهديدًا بغياب الضمير.

الحالة النفسية التي تفرق البشر وتهدر طاقاتهم ينبغي أن تُعرى، وزمان الأبطال ولّى، واليوم زمن الحقيقة والواقع، وليس في السويداء، ولا في هذا العالم، أحد قادر على سد فوهة المدفع بعمامة.

نص الورشة العلمية مكتوبًا

المحور الأول: في بنية الحراك وتوصيفه (ثنائية المحلية والوطنية، والقوى المؤثرة)

مضر الدبس: نبدأ بالمحور الأول: "بنية الحراك وتوصيفه"، وسنناقشه في مستويين اثنين؛ المستوى الأول : هل هو حراك محلي؟ أم حراك محلي ذو أفق وطني؟ وما معايير أفقه الوطني؟ ما آفاقه إن كان محليًا؟ وهل محلية الحراك هي قرار الحراك أم قرار الوضع العام السوري؟ وهل أفقه الوطني أيضا قراره أم قرار الوضع العام السوري؟

والمستوى الثاني هو القوى الفاعلة في الحراك، وبصورة رئيسة الدين وتأثير رجالات الدين في أدائه وخياراته وممكناته، ولا سيما مع زيادة التنظيمات المسلحة الموجودة، وتأثيرها في أدائه وممكناته المحلية، سواء كان محليًا أم وطنيًا.

مكرم رباح: أرى أنه ينبغي أن نتجه إلى تصنيف جديد، ليس ثمة شيء اسمه محلي وإقليمي ووطني، فهذه الصفات كلها موجودة في الحراك. بحد ذاته، حتى لو كان الموضوع يتمتع بنوع من الرعاية، أو الاهتمام الإقليمي من الأردن أو من أميركا، أو روسيا، هذا لا يعني أن ما يحدث على الأرض شيء متجذر.

التوقيت مؤثر، وأساسي في رؤيتنا للحراك، فلم يستطع النمو، ولم نستطع متابعته بوضوح، فعندما بدأنا التركيز على ما يحدث في جبل العرب بدأت أحداث 7 أكتوبر/ تشرين الأول، فتراجع المشهد السوري إلى الخلف، وصُب الاهتمام أكثر على ما يحدث في فلسطين، ثم لبنان. لا شك في أنه لولا وجود مكون محلي ومكون ديني في حراك السويداء (أعني دروز سورية) لاختلفت رؤيتنا له، آخذين في الحسبان اختلافًا جذريًا عن التركيبة الدرزية في لبنان،

على سبيل المثال؛ فالزعامات السياسية غير موجودة. فلا وجود لقيادات سياسية واضحة لم تكن مع حزب البعث في المدة الماضية، لكن قوة هذا الحراك تمكن في قدرته على الاستمرار وسط حقل من الألغام من دون أن يمس بأذى. تمكن المشكلة الأساس في التواصل والإعلام، فثمة حاجة إلى لجنة واضحة تتواصل مع الأطراف جميعها، لتوضح قرار السويداء الآن الدخول في ثورة فعلية عزلت هذه المقاطعة عن سيطرة الأسد، على الرغم من أن هذا الإقليم لم يكن متحمسًا للدخول فيها في طورها الأول.

ثمة ما يمكن أن نذكره في موضوع الاقتصاد، صحيح أن المواطن السوري في جبل الدروز تأثر بالانهيار الاقتصادي، لكن ذلك لم يكن السبب الأساس الذي دفع به للنزول إلى الشارع.

قد يكون الحراك شعبيًا ومحليًا جدًا، ولكن هذا لا يمنع أن يكون مرتبطًا بالصراع بالمنطقة، وذلك كله يجعل من الدروز أكثر أهمية في هذا الحراك، في وقت ظن فيه بعضهم أن الثورة انتهت في سورية، لكن هذا الحراك عزز برأيي لا مركزية الثورة.

تكمن المشكلة الأساس في أن العالم كله يريد استنساخ النسخة البعثية من الثورة، وأرى من خلال عملي كمؤرخ أن سوريا لم تكن تاريخيًا امة واحدة، بل مجموعة مدن بينهما ثقافة وعلاقات مشتركة، لكن النظام البعثي وحَّدها بالقوة، مثل كل محاولات بناء الدول في المنطقة، لم تنمُ بصورة طبيعية، وهذا ما حدث في السويداء؛ فهذا التغني بالوحدة والمحبة غير صحيح، لا بد من وجود قانون واضح ناظم، ومؤسسات ترعى هذه المحبة أو تنظمها، ولا بد في مرحلة ما أن يُستَثمر في بناء أحزاب تقليدية ليتراجع دور رجال الدين؛ فعلى المدى البعيد لا يمكن أن يلعب رجل الدين دور الحزب، ولا يمكن تأمين غطاء ديني مستمر لهذا الحراك، فإذا ما أراد الناس الخروج من إطار جبل الدروز لإقامة العلاقات مع الخارج، لا يمكن لرجل الدين القيام بذلك، ما يضعف هذه العلاقات. يحتاج الدروز إلى آلية لإدارة المرحلة القادمة، من مثل موضوع تجارة المخدرات والكبتاغون باتجاه الأردن والسعودية، وهو موضوع محلي وإقليمي في الوقت نفسه، وخطر الميليشيات المسلحة، إضافة إلى موضوع تحالف الأقليات في المنطقة في ضوء محادثات السلام في السعودية، وليس التطبيع بحسب نموذج الاتفاقات الإبراهيمية، ولا ينبغي أن يكون دروز سورية وحدهم في هذا المضمار. إذن، الطريقة الوحيدة ليدافع الدروز عن أنفسهم هي بالخروج خارج منطقتهم، ولا سيما في ظل التوقعات برد عنيف لإخضاعهم لنظام الأسد. وهذا كله يدفعنا إلى مراجعة ما حدث. أين نجح الحراك، وأين فشل؟ ثمة حاجة إلى دراسات معمقة في هذا المضمار.

مضر الدبس: هل ترى أنه لدينا اليوم في سورية نوع مما يمكن أن نسميه (درزية سياسية)؟

مكرم رباح: ليس درزية سياسية، لأنه الدروز بحسب حديثي مع عدد من الأشخاص لا يعدون هويتهم الطائفية طاغيةً عليهم، على النقيض من ذلك، لديهم نبرة وطنية، ومحال أن تتكلم مع ناشط الدرزي، إلا ويخبرك عن دوره الوطني في بناء سورية، حتى دروز لبنان لا يعدون هويتهم الدينية رادعًا لبناء الأمة، بل على العكس، ولكن الأنظمة القمعية حاولت أن ترسخ فكرة أن العلمانية هي القضاء على الهوية المحلية، وهذا ما دفع بعض الناس إلى الفخر بما يمكن أن نسميه "الدرزية السياسية"، وهذا إيجابي، يمكن رعايته والتأسيس له بكيانات عدة موجودة، فليس كل من يتحدث عن هويته الكردية أو الحلبية أو الشامية يناقض فكرة بناء الأمة، فالأمم المختلفة قد تكون البوابة للعبور نحو سورية أكثر ديمقراطية، ومن هنا، فإن الحديث عن الحل السياسي في سورية، لا يعني استنساخ النظام العلوي أو النظام البعثي، إنما يعني حكم القانون، وكل مواطن سوري يعيش ضمن هذا الإطار، يعني لا أعتقد أنه يجب علينا أن نستحي أو نتردد أو نخجل من هذه الهويات المحلية، لأنها تؤسس أكثر للهوية الجامعة الديمقراطية.

مضر الدبس: تعقيبًا على كلامكم، هذا الحراك ذو الطابع المحلي (الدرزي) بتواصله مع الدول الخارجية في ظل الغياب السياسي الوطني السوري ألا يبدو قفزًا غير مبرر إلى الأمام، ولا سيما أن من يتواصل مع الدول ينبغي أن يمتلك على الأقل الحد الأدنى من تمثيل المشروع الوطني السوري كله، ألا تخشى من تواصل هذا الحراك محليا مع الدول بشيء يمثل السويداء فقط؟ ولا سيما بوجود أصوات انفصالية في السويداء، أو لا مركزية تارة، وأخبار عن نفوذ إسرائيلي فيها، سمعنا مثل عن جمعية التآخي الدرزي- الإسرائيلي، ونشاط أيوب قرة، ألا يشكل التواصل الخارجي بمعزل عن السوريين خطرًا على السويداء أيضًا لا على سورية فحسب؟

مكرم رباح: إن تجربة الحرب الأهلية اللبنانية والدور الذي لعبه دروز المنطقة بالتحديد في فلسطين وسورية، كان نوعًا من (الأخوة)، ولا أظن أنها قفز إلى الأمام، فليس هناك سياسة سورية خارجية -باستثناء بعض المسرحيات- فإذا تواصل أحدهم مع الغرب والخارج، فهذا لا يعني بأنه يريد أن يؤسس دولة، وبغض النظر إذا كانت هذه الأصوات تدعو للانفصال تحت الفدرالية واللامركزية، أظن أنه ليس هناك من مواطن سوري موجود في جبل الدروز يريد الانفصال عن سورية، لأن سورية تعني له، وما حصل في السويداء هو صفعة لنظام البعث في ما يتعلق بتحالف الأقليات، أما مقولة أن هذا النظام يحمي المسيحيين ويحمي الأقليات، ويحمي الدروز فهي غير صحيحة، الأنظمة القمعية وتحالف الأقليات ينهار، فتحالف الموارنة في لبنان مع سلاح حزب الله وإيران لم يحمهم، ولم يقوض الدولة اللبنانية. أما الدروز، فلم يشاركوا أبدًا في تحالف الأقليات بصورة واضحة، كانوا دائمًا في الخلف، سواء عبر الصمت أو عدم الاعتراض العلني على الموضوع، ولكن في هذه المرحلة تحديدًا يوجد اعتبارات عدة لذلك، ومراكز الأبحاث والدراسات ترغب في معرفة ما يحدث هناك، ولدينا القدرة على الشرح بوضوح وجهات نظر مختلفة، ومن السيئ عدم فعل ذلك.

مضر الدبس: أترك لك شرح وجهة نظرك سامر بكور في ثنائية محلية الحراك أو وطنيته سواء في مستوى بنية الحراك أم في مستوى توصيفه، مع التوسع أكثر في القوة المؤثرة والفاعلة في الحراك؛ الدين والتنظيمات المسلحة والقوى الخارجية أيضًا؟ إضافة إلى التعقيب على ما ذكره د.مكرم رباح.

سامر بكور: أود أن أقول أن انتفاضة السويداء الحالية تمثل تمامًا انتفاضة درعا وانتفاضة حمص، وانتفاضة المنطقة الشرقية من سورية في آن معًا، وأؤكد أن انتفاضة أهالينا في السويداء؛ أي الانتفاضة الدرزية تؤكد أن الحامل الاجتماعي لمطالب الثورة السورية لم ينطلق من منبع طائفي أو منطلق إثني، فمثلًا عندما انطلقت احتجاجات السويداء، كان دافعها راسخ في عنف النظام السوري بقمع الاحتجاجات، وردًا على التساؤل لماذا لم تخرج السويداء آنذاك في الانتفاضة، فسأدافع عما كتبته في كتابي "التغريبة السورية" بأن أهالي السويداء من أوائل الناس الذين خرجوا في الانتفاضات، صحيح أن أهالي درعا وحمص وإدلب استخدموا (العنف القاسي)، ولكن السويداء منذ عام 2011 استخدمت ما يسمى (العنف الناعم)، وهذا ما يثبت في الاحتجاجات التي قامت في2022 ، 2023، و2024. ويثار النقد بالتساؤل لماذا تحول سلطان باشا الأطرش إلى السلاح في الثورة السورية الكبرى، ولم يُحمل السلاح في عام 2011؟ الحقيقة استخدم أهل السويداء (السلاح الناعم) في اعتصاماتهم، من مثل اعتصامات نقابة المعلمين، ونقابة الأطباء، ونقابة المهندسين، فأشعلوا الثورة في مدينة السويداء. وعندما أتذكر مثلًا سميح شقي وأغنيته (يا حيف)، على الرغم من خروج المطالبات بإسقاط المحافظ والإصلاحات، تحرك عندي شعور خفي، أن هذه الدولة دولة سلطوية قائمة على العنف والقتل. بعد ذلك خرجت تظاهرات القريا في آذار 2011، وفي نيسان في صلخد، ثم تطور العنف الناعم في السويداء أكثر، مثل مسيرة (شموع السويداء)، وعندما نودي في إحدى التظاهرات لأول مرة في

السويداء (حرية)، و(بالروح بالدم نفديك يا شهيد)، في وقت كانت فيه التظاهرات على أشدها في درعا، في هذا الوقت كان الهتاف: "نفديك يا شهيد يا درعا، نفديك يا شهيد يا حمص، نفديك يا شهيد يا إدلب..."، هذه فكرة المحلية التي نشهدها في السويداء، وهي ليست جديدة بل هي قديمة جدًا منذ عام 2011، في ذلك الوقت نلاحظ أن قوى الأمن وشبيحة النظام صاروا يستخدمون القمع المتوسط بين القاسي والناعم أيضًا؛ العصي، ثم الاعتقالات. يتكرر هذا النموذج نفسه في 2023 و2024، إذن كان ثمة محلية، لكن هذه المحلية التي كانت موجودة في السويداء، كانت بحاجة إلى أن تتطور إلى وطنية، ولكن ليس من السهل تطوير فكرة من الناحية المحلية إلى الناحية الوطنية، وسأوضح السبب. لتطوير فكرة تحتاج إلى مدن وقرى انضمت إلى عملية الاحتجاجات، وللتذكير كانت ثمة مدن عدة فقط انتفضت في السويداء، مثل السويداء في دوار الثعلة، وسوق الخضار، ومدينة شهبا، مدينة صلخد، وبلدة القريا، التي شهدت تظاهرات محلية، ولم يتسع الوقت لتطوير هذه الفكرة. نتذكر على سبيل المثال (حملة إسقاط النظام)، وهي حملة محلية جدًا، يمكن أن نطلق عليها وصف (فكرة شوارعية)، أي انطلقت في شوارع محددة من السويداء، ثم حملة (الرجل البخاخ) في بعض الأحياء في بعض المدن، وأظن في مدينة (أم الرمان) ذات الأقلية المسيحية، ولم تتطور فكرة المحلية -برأيي- إلا عندما رفع علم الثورة على نصب سلطان باشا الأطرش، وبدأ المتظاهرون باستخدام كلمات (حرية، حرية، نريد إسقاط النظام..). وبمناداة (منتهى الأطرش) للخروج في أنحاء السويداء كافة، انتقلت عملية الاحتجاجات من المحلية إلى الوطنية، وهنا استوعب الاحتجاجات الفئات العمرية المختلفة، مثل المراهقين والطلاب، والمعلمين والمهندسين، ثم بدأ رجال الدين بالخروج في الاحتجاجات، وهذا كان العلامة الفارقة في احتجاجات السويداء في الأعوام 2011، 2012، 2013، 2014، 2023، 2024.

للطائفة الدرزية -برأيي- دور كبير في جذب الشباب إلى الاحتجاجات، مثل (حركة رجال الكرامة) التي أطلقها الشيخ وحيد البلعوس، وتكوين شيء اسمه (الأجاويد).

في (حركة رجال الكرامة) فكرة محلية ترتقي إلى الوطنية، وهي "نحن لسنا موالين وليس ولسنا معارضين، ولكننا لا نريد دولة درزية، ولكن إن أجبرنا، سندافع عن هذه الفكرة"، إذن كان ثمة فكرة للانتقال من المحلية إلى الوطنية، ثم من الوطنية إلى الإقليمية، لكنها كانت صعبة بعض الشيء. ففكرة (الأجاويد) وفكرة (البيارق) التي ظهرت في السويداء لم تكن ظاهرة إلا في بعض المدن والقرى؛ شهبا، مدينة السويداء، الجنينة، القريا. فكرة السلمية الموجودة في السويداء من 2011 حتى الـ 2020، كانت موجودة بشكل كامل، ولكن في الوقت نفسه كانت موجودة بشكل كبير جدًا، الآن في 2023، أرى أن فكرة المحلية أيضًا من الصعب أن تتطور إلى الوطنية، لأنها في حاجة إلى جاذب، فهل هذا يعني أنه لا يمكن تحقيق هذا الجاذب إلا إذا كانت ثمة قيادة محلية؟ برأيي الشخصي فشلت الثورة السورية لأنه لم يكن فيها قادة، فعندما سيطرت المعارضة السورية على مساحة 67 بالمئة من سورية، لم تستطع أن تطور نفسها من قيادة الفصائل إلى قيادة الدولة، فلم تمتلك فكرة القيادة المحلية. ولذلك تطوير الاحتجاجات يحتاج إلى قيادة محلية، وتنسيقيات، على أن تشتمل هذه التنسيقيات على أناس قادرين على رفع صوتهم لجذب المكون الخارجي، بدوره يحتاج هذا المكون الخارجي إلى شروط تتعلق بالحرية والعدالة والديمقراطية. وفي الوقت نفسه ليس بالإمكان الانتقال من المحلية إلى الوطنية من دون التواصل والتنسيق مع الحركات والأحزاب السياسية الأخرى في سورية. إذن، أين هذه الحركات من الأحزاب السياسية الأخرى الموجودة في سورية؟ حاليًا يتركز معظم الحركات والأحزاب السياسية في الشمال الغربي من سوريا، وفي الشمال الشرقي منها او في الخارج، أقصد طبعا تركيا أو الولايات المتحدة الأميركية في الشمال الشرقي من سورية، وهنا من الصعب الانفتاح على هاتين الجهتين، كذلك الحال مع القوى الوطنية، مثلا الجيش الوطني، فهل تعد (تحرير الشام) وطنية؟، من هنا تبدو آفاق الانفتاح صعبة نوعًا ما. كيف يمكن تجاوز ذلك؟ الأمر ليس سهلًا، فسورية لا تملك سيادة القرار، إنما تأتي روسيا بالدرجة الأولى، وإيران في الثانية، وفي الوقت نفسه لا تملك قوى المعارضة سيادة القرار أيضًا، فتحرير الشام في إدلب ليست صاحبة القرار، بل تركيا صاحبة القرار، وكذلك الجيش الوطني، والقوى الكردية. هل يمكن إعادة محاولة هذه المنظمات (Non-State Actors) في السويداء، أظن أن هذا صعب، ففي السويداء يوجد قيادة محلية،

مثلًا لاحظنا عندما اغتيل البلعوس في أيلول/ سبتمبر 2015، كيف فرط هذا العقد، بينما النظام يمتلك كاريزما القائد القادر على إيصال صوته إلى جهات خارجية.

ولكي يتحقق الانفتاح على أفق وطني، ينبغي بناء تحالفات مع حركات وأحزاب سياسية وطنية، ولكن أين هي الوطنية؟ وأين هي الأحزاب؟ أتذكر في 2012 كان هناك (تنسيق أهالي السويداء)، وتشكل المجلس العسكري للسويداء، ولكنه كان صغيرًا جدًا بقيادة العقيد مروان الحمد، ولكن حلّ العقيد الحمد بعد أربعة شهور هذا المجلس العسكري، وعزا أسباب ذلك إلى عدم وجود تحالفات، او الفصائل التي تعد نفسها وطنية لم تكن قادرة على التحالف أو الدعم، سواء ماديًا أم معنويًا. يضاف إلى ذلك وجوب تطوير خطاب شامل، بمعنى أنه يشمل السوريين كلهم، لا الدروز فحسب أو السنة فقط، خطاب يعبر عن مطالب وطنية عامة -برأيي- فالسويداء حتى اليوم محصورة ضمن حدود درعا، وحدود الأردن، وليس لديها أي شيء عابر للمدن، ومن هنا يجب أن يكون خطاب السويداء خطابًا سياسيًا عامًا يعبر عن مطالب وطنية عامة.

نلاحظ اليوم أن القائمين بالحراك في السويداء هم مجموعة من الناشطين مع نسبة قليلة من النخبة المثقفة، بينما لم يكن الحال كذلك في 2011، ففي إدلب كان ثمة نخبويون وناشطون محليون وفلاحون أيضًا، ومن هنا ينبغي جذب عناصر المجتمع كافة.

أما الزعامات الطائفية في السويداء، فهم حمود الحناوي ويوسف جربوع وحكمت الهجري، الأولان حياديان بعض الشيء، بخلاف الهجري الذي يركز على السلطة الزمنية، نحن بحاجة إلى رجال دين ذوي قوة وفاعلية مثل الشيخ البلعوس للانتقال من المحلية إلى الإقليمية أو إلى الوطنية والانتشار، فعندما قام سلطان باشا الأطرش في السويداء، دعمه هنانو في الشمال، وهؤلاء من ينبغي أن نعنى بهم في دراساتنا.

وعلى النقيض من المرحلة بين (2013 و2020)، فالتنظيمات المسلحة غير موجودة في السويداء، إنما يوجد اللجان التي تقوم على الحس السياسي لصالح أهالي السويداء، يجسدها (الأجاويد) و(حركة رجال الكرامة)، والفهود، إضافة إلى اللجان الشعبية التي تعمل للنظام، آخرها ما اجتمع فيها (درع الوطن) و(لبيك يا سلمان)، وهي محصورة حتى الآن ضمن نطاق مصالحي، يعني فيها تأثير من إيران وروسيا. فالتنظيمات المسلحة خامدة في السويداء، باعتبار وجود سلطة دينية مسيطرة في الوقت الحالي فيها، ومن هنا أرى أن محلية الصراع حتى الآن جزئية في السويداء نتيجة الوضع السوري الراهن الذي يفرض قيودًا على تحركات أهل السويداء بسبب التحديات الأمنية والسياسية فيها، لذا من الصعب الخروج خارج هذه القيود. ومن أجل طبعا التواصل أو الخروج من هذه القوقعة ثمة حاجة إلى قنوات اتصال كبيرة وفاعلة، تمتلك القدرة على التفاوض، فمن أحد عوامل فشل الثورة السورية هي المعارضة التي لم يكن لديها القدرة على التفاوض، ولم يكن لديها مبدأ الوسط، وأظن ان هذا المبدأ موجود في السويداء، لذلك أنا أعتز بحراك السويداء لسلميته، وقدرته على التواصل.

ومن الأمثلة على ذلك: في إدلب قرى جبل السماق 20 قرية درزية؛ قريتان مختلطتان من السنة والدروز، و18 قرية سنية درزية، كان يسيطر الجيش الحر على هذه المنطقة من دون التعرض للدروز فيها، وفي نهاية 2013 وبداية 2014 سيطرت (داعش) على المنطقة ثم طردت منها. وعندما سيطرت جبهة النصرة على القرى الدرزي، أرادت فرض الزواج من السنة على فتيات درزيات، لكن الحادثة التي أشعلت سباقًا محليًا إقليميًا هي حادثة قتل 21 شخصًا من أهالينا الدروز في كنسية (قلب لوزة)، ما أشعلت لهيب التنافس المحلي، والإقليمي والدولي؛ يتمثل المحلي في أن الأسد قال نحن حماة الأقليات، وانظروا كيف تقوم الجماعات الإرهابية الطائفية السنية الراديكالية بقتل الأقليات، وفي المستوى الإقليمي قال وليد جنبلاط ووئام وهاب إنه يجب التدخل في إدلب، يجب أن تكون لهذه الأقليات حماية، حتى الرئيس الإسرائيلي استغل الموقف، وقال: انظروا إلى ما يحدث في إدلب، وإلى حوادث القتل بحق الأقليات، لذلك نحن نطالب بضم الجولان رسميًا من أجل حماية الأقليات. وللأسف برأيي تستغل الطائفة كثيرًا محليًا وإقليميًا ودوليًا.

مضر الدبس: تحدثت كثيرًا عن فكرة السلمية في السويداء، ثمة أصوات بين السوريين اليوم ترى أن سلمية السويداء لم يتم اختبارها، فالثورة السورية كانت سلمية، وحافظت على السلمية دائمًا، أما السويداء، فلم يمارس النظام ضدها أي ممارسات، فلم تجرب السويداء البرميل أو العنف أو الاغتصاب، والدفن أحياء وبقر البطون وإلى ما هنالك. وقد أشرت إلى نقطة مهمة أيضًا فعلى اعتبار أن الحراك ليس له في ضوء الوضع السوري الراهن إلا أن يكون محليًا، لأن المحلية تحتاج إلى تواصل، وبطبيعة الحال ليس لدينا المشروع الوطني الناجز الذي يمكن للحراك حجز مكان لنفسه فيه. وعلى المستوى الوطني بالنتيجة يمكن التفكير في أن الحراك لا يحمل وحيدًا مسؤولية محليته، لأن الوضع السوري لا يحتمل إلا أن يكون هذا الحراك محليًا. إذن، كيف نخرج من هذه الدوامة ولا سيما أن هذا الوضع يزيد من المحلية؟

أما الحديث عن الحاجة إلى رجال دين، فنموذج وحيد البلعوس كان أقرب إلى رجل سياسة، ولكنه كان رجل دين بالصدفة، إذا صح التعبير. اليوم ثمة مناطق لتقاسم النفوذ بين رجال العقل الثلاثة في السويداء، وقد يكون ذلك أحد الأسباب في زيادة محليةِ السويداء محليةً، بقسمها على نفسها إلى قسمين أو ثلاثة، أي مثل ما حدث في لبنان، بانقسام دروزه إلى قسمين في الولاءات. كيف نحل هذه المعضلة؟

سامر بكور: عطفًا على موضوع السلمية أظن أن ما يميز الاحتجاجات في السويداء سلميتها. من الممكن أنه ثمة ممارسات سيئة من قبل النظام بتحريك السلمية من أجل أن يكون ثمة مسوغ لعقاب أهالي السويداء، وقد يسأل سائل هل يمكن أن يعاقب النظام السويداء؟ طبعًا بإمكان النظام معاقبة أي أقلية أو أكثرية، والأمثلة كثيرة. ما زلت أؤكد أن الجميل في احتجاجات في السويداء سلميتها، سواء في خروج أهالي السويداء للاحتجاج، أو في البيانات والفعاليات لأنه عمل بهذه السمة على تجنب الصدام المباشر مع قوات النظام.

في الوقت نفسه، ازداد عدد المتظاهرين والمشاركين في المستوى المحلي ضمن مدينة السويداء أو محيطها، فإذا أقدمت السويداء على ما يضر بالنظام أو يعصف بأدواته، فقد يقوم النظام بعمل يرغم السويداء على الاحتجاج، ليصعد الموضوع باتجاه البراميل المتفجرة أو الحصار أو المجازر.

في السويداء ثمة محرك للتظاهرات أو للتثوير منذ عام 2000، ففي المنطقة الشمالية الشرقية والمنطقة الشمالية الغربية من السويداء البدو، ومعظمهم كانوا محركين للمناوشات والخلافات مع أهالينا في السويداء بتنسيق مع رئيس فرع الأمن العسكري وفيق ناصر -يذكر ان السويداء سميت مملكة ناصر- وحتى البدو الموجودين في المنطقة الجنوبية حُرِّكوا من قبل داعش، وهي -داعش- المحرك الثاني، وإن انتهت على المستوى الفيزيولوجي أو على المستوى الفيزيكي، فإن خلاياها التي تُحرك من قبل النظام موجودة في كل زمان ومكان، ففي تموز/ يوليو 2018 نفذوا أعمالهم في سوق الخضار وفي المنطقة الشمالية الشرقية، وراح ضحيتها أكثر من مئتي شهيد في السويداء، وإذا عدنا بالتاريخ إلى ما قبل اغتيال البلعوس في أيلول/ سبتمبر 2015، كيف سحب النظام الآليات والعتاد العسكري الثقيل من السويداء، ما لفت انتباه داعش آنذاك، فنفذوا عمليات نوعية في شمالي شرق السويداء في قرية القحف ومنطقة بئر القصب، يذكر أن عناصر داعش الذين حُركوا من منطقة اليرموك وحي القدم حُمِّلوا بالسيارات والباصات الخضر إلى البادية، هؤلاء ما زالوا موجودين، يضاف إليهم عناصر داعش الذين كانوا ضمن جيش خالد بن الوليد، وحُركوا باتجاه البادية أيضًا. إذن، من المهم الآن برأيي الشخصي المحافظة على سلمية الحراك، والنظام عنده أدواته غير المباشرة التي يمكن استخدامها في السويداء، بوصفها تدخل ضمن دول إقليمية يريد تحريكها.

إن الخروج من المحلية إلى الوطنية يحتاج إلى تحالفات سياسية، ثمة حاجة إلى دعوات شخصية محلية لشخصيات

وطني تسهم في نقل السويداء من هذه البوتقة المحلية إلى البوتقة الوطنية، وأعتقد أنهم قادرون على ذلك، فوجود (تلفزيون سوريا) في السويداء تهديد كبير للنظام، ومعروف كم عمل النظام على محاربته، فهذه الأداة الموجودة هناك حاليًا تجتذب قوى وطنية أيضًا.

في الفضاء السياسي السوري اليوم قوى وطنية ترغب في المشاركة في حراك السويداء، ولكن باعتبار أن المحور الجغرافي للسويداء مسدود حتى الآن، يبدو أفق المشاركة صعبًا، إلا إذا كان هناك تحرك رسمي ديني كبير من قبل القيادات الدينية لتثوير السويداء داخليًا وعلنًا بصورة رسمية، وهو أمر صعب، ولا سيما عندما نتذكر (البعد أو الحرم الديني) الذي صدر بحق وحيد البلعوس عندما أراد تجاوز حكمت الهجري وحمود حناوي ويوسف جربوع.

مكرم رباح: تعقيبًا على ما سبق، ثمة موضوع أساس بما يتعلق بمحاولة تصوير أن أي عمل يتحدث عن الخصوصية الطائفية أو المحلية هو تجاوز الوطنية، أرى أن تجربة الأكراد في سورية مختلفة، لأن الأكراد لم يسمح لهم بالتمتع بهويتهم، لذا كان رد فعلهم على الدولة السورية الحديثة أشرس، أما الدروز فهم غير مضطرين إلى تقديم أوراق اعتماد بالوطنية. وقد لاحظت من أشخاص موجودين على الأرض ورجال دين شباب، أنهم يتحدثون عن الوطنية، ويرون أن ابن إدلب وابن الشام وابن الساحل مواطن سوري، وهذا كلام جيد جدًا، فليس المهم من يحدد الوطنية، فالوطنية هي الانتماء إلى هذا الوطن، فالمواطنة وحكم القانون موضوعان لم يستطع أصحاب السلطة تحقيقهما.

يجب على دروز سورية ألا يتصرفوا كثيرًا خارج هويتهم الدرزية، بمعنى آخر كمان أشار د. سامر أن يكونوا شرسين قليلًا بممارسة ما يخيف النظام منهم، أي شخص يتعدى عليهم، سيردون عليه باعتداء أكبر. عندما جرب النظام أن يصور الدروز على أنهم عصام زهر الدين، ثم الطريقة التي قتل بها، لم يرَ الدروز في رد فعلهم أنه يطل من أبطالهم، بل دفن مثلما يدفن أي شخص، يضاف إلى ذلك قتل لونا الشبل، إذ لم يتصرف الدروز على أساس أن هذا الموضوع يخصهم، فهذا الشخص لا ينتمي إلى المكون الدرزي، ولا يمثله. ويجب عليهم أيضًا إعادة تكوين تنظيمهم العسكري بمعنى قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم، فعندما دخلت داعش قرى درزية سقط عدد من الضحايا بما يسمى (نيران الصديقة)، لأن سنوات من عدم التدريب وعدم وجود المليشيات سيف ذو حدين.

الدروز بموقعهم الجغرافي وقدرتهم على التشبيك شيء أساسي، فثمة ما يحدث في السويداء من خلال علاقة الدروز مع أيمن الصفدي (وزير خارجية الأردن)، فليست صدفة أن ينتمي وزير خارجية أردني إلى "بني معروف"، وطريقة تصرفه مع النظام، عندما يلتقي نظام الأسد في دمشق توضح وجود حنكة سياسية معينة ترسم خطوطًا حمراء.

مضر الدبس: هل هذه معلومة، يعني برأيك الأردن توجهت إلى تعيينه آخذةً بالحسبان أنه درزي في مثل هذا السياق؟ وهل هذه معلومة أم تحليل؟

مكرم رباح: نعم معلومة، والأردنيون براغماتيون جدًا سياسيًا وعسكريًا، وأضيف على ما قاله د. سامر أن علاقة الدروز منذ بداية الثورة مع المكونات المحيطة ممتازة، فالمشكلات مع أهل درعا لم تعد موجودة. على العكس صارت العلاقة والتنسيق جيدان، حدثت أحداث فردية، وجريمة منظمة، ولكن علاقة الدروز مع المكون الأساسي هي إعادة اعتبار وطني فيما يتعلق بتنظيف صورتهم السورية، وعدم تمثيل عصام زهر الدين إياهم. وأظن أن دور الاغتراب هنا أساسي، ولا بد من التواصل أكثر مع لبنان، وفي مرحلة من المراحل قد يكون غير صحيح أن الدروز ظلوا على الحياد، لقد كانوا واضحين، ولكن كان الخطاب نخبويًا. فجذور هذه النزعة الانعزالية عند بعضهم في السويداء انتهازية، وليست جذورًا أيديولوجية، وعلى الرغم من أن الدرزي مستقل ذاتيًا، ويدير المناطق التي هو فيها المكون الطاغي لونه واحد، فهو لا يتغنى بفكرة الانقسام والانعزالية. أرى أن خط الثورة واضح، نحن نريد وطنًا سوريًا قابلًا للحياة. لا أستهين بالنزعة الليبرالية في الحراك، فالشائع أن دروز سورية محافظون، لكن أين المحافظة عندما تشارك المرأة السورية إلى جانب الشيخ والشاب في الاحتجاجات بصورة خارج النمطية السائدة؟

كل من لا يستطيع تأمين الرخاء الاجتماعي والاقتصادي لنا، لا نحتاج إليه، فبوصفي مواطنًا سوريًا أدفع الضرائب لنظام لم يؤمن لي النظام إلا القتل والموت في المقابل، ولذلك نزل السوريون إلى الشوارع في 2011، ولم يختلف المطلب السوري حتى اليوم ولم يتغير، أعني وطن قابل للحياة، ولم يستطع أحد تأمينه، فالاحتلال الإيراني أساسي، والتدخل الروسي أساسي، وحتى استعمال الروس لحمايتنا من الإيراني أساسي، ولا أظن أنه ينبغي التردد في ذلك، فالعلاقة الروسية الدرزية تاريخيًا أو المستجدة بالتنسيق الأمني موجودة، ولا أظن أنه ينبغي أن نتردد أو نخاف في طرح هذه الأسئلة الكبيرة، فنحن منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر في مرحلة مصيرية، لذا يجب على الدروز السوريين والفلسطينيين واللبنانيين أن يكونوا جاهزين للإجابة عنها.

المحور الثاني: آفاق الحراك وممكنات الفعل السياسي

مضر الدبس: في المحور الثاني نود الحديث عن آفاق الحراك وممكنات الفعل السياسي، وذلك في مستويين؛ مستوى أهلية الحراك نفسه للفعل السياسي في المشهد السوري حاليًا، وذلك في ضوء أدائه خلال المدة الماضية منذ بدايته في آب/ أغسطس 2023 إلى الآن، والمستوى الثاني هو الممكنات، سواء الممكنات الوطنية أم الممكنات الدولية، وأهمها مستجدات 7 تشرين الأول/ أكتوبر وفاعلية الدول الإقليمية؛ الأردن وتركيا... وإلى ما هنالك.

مكرم رباح: جوابي بسيط جدًا؛ هذا الحراك لا يمكن أن يعبر ليكون حراكًا وطنيًا من دون توافر مكونات وطنية لديه، تتفق معه على أجندة واضحة أو مجموعة مفردات جديدة لا تستعمل فكرة القومية السورية فقط، أو فكرة الوطنية، بل تستعمل أشياء جديدة تشبه الجيل الجديد. ثمة حاجة لتأسيس تنظيمات سياسية بالمعنى الحديث للكلمة، لا حراكات اعتراضية فحسب، على أن تكون الأهداف واقعية، لا أن نحقق (السلام العالمي) على حد تعبير ملكات الجمال عندما يسألن عن أهدافهن، كلنا نريد السلام العالمي، ولكن في بيئتنا المباشرة أو في معركتنا لاستعادة الطبيعة لسورية يجب أن يكون هناك مراحل معينة، مثل مشروعات إصلاحية سياسية قد تكون لبعض الأشخاص مشروعات وهمية، لكن في لبنان طرح كمال جنبلاط في 1975 المشروع المرحلي للحركة الوطنية، واصطرع اللبنانيون عليه 15 عامًا، ثم أُدخل في اتفاق الطائف، ثم أجريت التعديلات الدستورية، ما يعني أن هذه المشروعات السياسية أساسية، لأنها تدفع بالناس إلى الاتفاق والتفكير بعلمانية وواقعية ومدنية، وفي ضوء ذلك ينبغي لرجال الدين التراجع إلى الخلف.

مضر الدبس: إذن لتأهيل الحراك ينبغي أن يعود رجال الدين خطوة إلى الوراء كما ذكرتم، بالمقابل ألا نخشى على الحراك اليوم بالسويداء إذا عاد رجال الدين إلى الخلف، ولا سيما أنه -كما ذكرت- لا يوجد زعامات سياسية أو اجتماعية تقليدية مثل لبنان؟ إلى أي درجة يمكن أن نقارن بين دور الهجري ودور الزعماء السياسيين التقليديين الدروز في لبنان في ضوء عدم قدرة المجتمع في السويداء بعد امتداد الحراك إلى أكثر من سنة تقريبًا على صنع حالة سياسية أو هوية سياسية خاصة فيه، وموحدة بالحد الأدنى؟

مكرم رباح: لا نقول إنه ينبغي دفع رجال الدين إلى الوراء، إنما هم من ينبغي أن يتخذ هذا القرار، والنقاش الذي نخوضه اليوم، ينبغي أن يكون معهم. وأظن أنهم في مرحلة ما سيرحبون بذلك، ولا سيما إذا كان الاتفاق توافقيًا. هؤلاء الأشخاص لا نخلقهم، إنما نضع لهم أطرًا مهنية للتعرف بعضهم إلى بعض أكثر. لا بد أن يكون ثمة تجربة فاشلة كي يتعلموا كيف يصلون إلى النجاح. وجود رجال الدين في هذه المرحلة تحديدًا يخلق شبكة من الأمان، نستطيع أن نكون زعامات سياسية سواء بجبل الدروز أم بأماكن أخرى، لذا

ينبغي الاستفادة من حالة الوئام بين رجال الدين الثلاثة، كي لا نعود إلى الصفر في حال المراهنة على شخص واحد، وتعرضه لحادث مثلًا أو وفاة. ينبغي أن يكون هناك وفرة وقدرة على وضع خطة وخطة بديلة. والسؤال هل نستطيع أن ننتقل سياسيًا إلى مرحلة حوار سياسي يستطيع جمع المكونات السورية خارج إطار جبل الدروز؟ هذا هو التحدي الحقيقي.

مضر الدبس: هل من الممكن بتقديرك الاستفادة هنا من تجربة الدروز السياسية في لبنان؟ وهل تحرك دروز لبنان -وتحديدًا التيارات السياسية الكبرى- بما يتعلق بجبل العرب؟

مكرم رباح: ليس هناك من تيارات سياسية في لبنان تدعم جبل الدروز، حتى مؤيدو بشار الأسد بوصلتهم واضحة في موضوع جبل الدروز.

لم يعد الحراك الدرزي في سورية يسبب أي نوع من الإحراج، فدروز سوريا بمواقفهم يتركون تلك الشعرة بينهم وبين دفاعهم عن بلدهم سورية، وعدم الدعوة إلى الاتصال بالخارج، وعدم وجود مشروع تقسيمي، وهنا ينبغي الاستفادة من هذا الموضوع، فالجيل الجديد من الشباب السوري لا يقف بوجهه أي عائق، لو خلقت لهم الكوادر المطلوبة، والثورة نفسها هي الإطار المطلوب لـ "كوردة" هؤلاء الشباب، ولا نريد لهم البحث عن كوادر في شبيبة الثورة أو مؤسسات النظام، فتجارب اليوم هي التجارب الوطنية المطلوبة، وقد تكون أوضاع الحرب والأوضاع الاقتصادية السيئة في سورية عائقًا، ولكن لا شك في أن الشباب لهم علاقات افتراضية مع غيرهم، ويتناقشون عبر وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا، لكن ذلك غير كاف، لا بد من إطار لصهر هذه الحركات كي نبدأ حوارًا سياسيًا نظريًا وعمليًا. على سبيل المثال في لبنان كان هناك تجربة اسمها "لقاء قرنة شهوان"، كانت الاجتماعات في كنيسة، ولكن العصب الفعلي فيها يساريٌ، أسهم الراحل سمير فرنجية في مجموعة مفرداتها في حوالى ثماني سنوات إلى حين مقتل رفيق الحريري، إلى أن صار الجميع متفقًا على خطة معينة حتى من دون أي حوار.

مضر الدبس: ما الذي يمكن أن يقوم به الحراك المحلي اليوم في ضوء ما يحدث إقليميًا ودوليًا؛ الأردن وملف الكبتاغون، موضوع 7 تشرين الأول/ أكتوبر في غزة، انعطافة الموقف التركي والتغيرات الإقليمية، الموقف الأميركي من سورية، الفوضى في لبنان، تدخل إسرائيل، ونظرتها إلى هذه المنطقة؟

مكرم رباح: لا أريد أن أمدح كثيرًا بدروز سورية، لكن أظن أن لديهم الفهم الحقيقي للتغيرات، فالوتيرة التي يتبعونها أساسية، فمن غير المصيب تصعيد أي حراك في ظل الانتخابات الأميركية الجارية، والتغييرات السياسية في أوروبا، أظن أن من المهم الهدوء حاليًا، وإعادة تقييم التجربة والنظر في موضوع التشبيك في المرحلة القادمة، ولا سيما أننا سنكون أمام أوروبا وأميركا مختلفتين. نريد أن نفهم إلى أين يتجه الموقف الإسرائيلي، لو صارت عملية برية على لبنان تمر عبر سورية، ما موقف الدروز منها، هل سيظلون على الحياد؟ علمًا بأن أحاديث جدية عن محاولات عدة للخلايا الإيرانية للتأسيس لهم في الجولان، سواء في هذه المرحلة أم في مرحلة قادمة، وهذا برأيي لن يرضى عنه الإسرائيلي، ولا الدروز في الجولان. هذه كلها موضوعات معقدة، لكن ينبغي نقل النقاش فيها إلى الحيز العام، بمعنى: ما هو مستقبل الدروز في سورية بوصفهم مواطنين سوريين؟ هذه الموضوعات تثير في داخلي الخوف أكثر بكثير من السؤال عما يمكن أن يقوم به الحراك اليوم، ففي هذه المرحلة لا أحد يستطيع أن ينتزع الثورة مكاسبها ونقاط سيطرتها، ويبقى السؤال كيف ننتقل من الجيل الأول إلى الجيل الثاني سؤالًا جوهريًا، ما يتطلب جاهزية.

مضر الدبس: هذا يعود بنا إلى المربع الأول؛ البحث عن شركاء، فهل ينبغي أن يكون البحث عن شركاء في المستوى الوطني في السويداء موازيًا للبحث عن شركاء لها في المستوى الخارجي؟ وإذا كانت ستتواصل خارجيًا، فهل سيكون التواصل على أساس كونها درزية وتبحث عن شركاء مشابهين مثل دروز لبنان أو تتواصل مع الأردن بوصفهم دروزًا لا يشبهون أهل درعا، وإن كانوا حدوديين؟

إذا كان الجواب نعم، فعلى أي أسس ينبغي أن يكون، وبماذا ننصح أهل السويداء اليوم لبناء آلية هذا التواصل مع الخارج؟

مكرم رباح: لا شك في أن التشبيك الداخلي والتشبيك الخارجي مطلوبان، ينبغي عدم الحياء من هويتهم الدرزية، ولكن في الوقت نفسه هويتهم الوطنية أساسية، ينبغي الحديث بفكرة التعددية من دون حرج، فلماذا نصهر السوريين كلهم في هوية واحدة؟

توافر القدرة والقيادة الحكيمة والظروف التي سمحت لهم بالوقوف من دون أن يتمكن النظام من كسرهم كما فعل في مدن أخرى، ساهم في حفاظهم على أنفسهم في هذه المرحلة، وهي مرحلة أساس لأنها قد تكون ركيزة لإعادة إطلاق الثورة على أسس واضحة بعد التعلم من أخطاء الماضي، من هنا ينبغي ألا يكون التواصل مع الخارج بمعزل عن الهوية الدرزية، فالسؤال عن مخاوف الدرزي في واشنطن، ينبغي ألا يتبعد بالدرزي عن توظيف هذه الخلفية المذهبية إيجابيًا، والانطلاق منها للتأكيد على أن ما ينادي به الدروز في هذه المرحلة هو لسان حال السوريين جميعًا، بمن فيهم قسم كبير ممن يعيش تحت حكم النظام السوري.

مضر الدبس: دكتور سامر هل توافق على هذه المنهجية؟

سامر بكور: نعم، إلى حد ما، إن نسبة أهالي السويداء إلى سورية هي 3 بالمئة من عدد السكان، لكن المشكلة ليست في العدد أو المساحة، إنما في التواصل وفي الحدود الجغرافية. والسؤال: ما الإيجابيات والسلبيات بالنسبة إلى الطرف الآخر؟ إذا أردت عقد اتفاقات أو استجلاب الدروز في الأردن أو في لبنان إلى المنطقة، ما المنافع التي سيحصلون عليها لموافقة رغباتي السورية؟ والسؤال الثاني: نعلم أن الحزب القومي الاجتماعي الموجود في لبنان له فرع في سورية، فهل عندهم القدرة أو الرغبة للدخول إلى سورية أم لا؟، أظن لا. هل يرغبون في الوصول إلى اللامركزية؟، ففي 2019 كان ثمة اتفاق من قبل جماعات محددة في السويداء من أجل إقامة اللامركزية، ولكن جاء السلطتان الزمنية مع الدينية وأفشلتا هذه المحاولة، وقالتا: نحن جزء من الدولة السورية.

إذن ما المصلحة أو ما البراغماتية الموجودة عند أهالي السويداء التي تمكنهم استقطاب أطراف أخرى، هل هي فقط الإثنية أو الطائفية؟

أشك في ذلك، لأن التجربة السنية تجربة فاشلة، يعني في الوقت الذي كانت تقصف فيه مدينة إدلب، كانت المدينة التي تبعد عنها 3 كم مهادنة للنظام، لا بل شكلت ميليشيات ولجان شعبية من أجل من أجل الوصول إلى المنطقة الثانية، ورفد النظام بجيش رديف له. لذا أعتقد أن البراغماتية تحكم الدروز والسنة والأكراد وحتى الدول، يعني على المستوى الإقليمي أو على المستوى الدولي.

مضر الدبس: هل الحراك الآن يمتلك الحد الأدنى من الأهلية لكي يؤثر في المشهد السياسي السوري؟ وإن كان نعم، فمن أي بوابة؟ يعني إذا نفينا البوابة التي لها علاقة بـ (الطائفية) الآن، من أي بوابة يمكن أن يمتلك هذه الأهلية أو يطورها؟

سامر بكور: سأعود إلى البنية المجتمعية الموجودة للتركيز على هذا الموضوع؛ دروز سورية. ثمة تعاطف كبير

من دروز إدلب مع دروز السويداء، ولكن الحدود الجغرافية تمنع حتى الوصول إلى حلب، مع الإشارة إلى الرابط الاجتماعي القوي، وله قاعدة في حراك السويداء، يضاف إلى ذلك فكرة الدعم الشعبي من قبل أهالي السويداء للحراك، حتى لو سرًا، فضلًا عن الوعي السياسي الذي نشهده هناك، وخاصة بين الشباب، ولعل هذا ما افتقدناه في ثورة 2011 حتى 2020، ودخول النخب المثقفة، فالنخب لم تكن موجودة بكثرة لتحريك التغيير الموجود في السويداء، إضافة إلى ذلك سأركز على فكرتين رئيستين، وهما التشرذم الداخلي الذي أفشل الثورة، ويمكن أن يؤدي إلى إفشال الاحتجاجات في السويداء نتيجة بعض الانقسامات الداخلية، والاختلاف في الحزبيات بين التيارات؛ والتدخلات الخارجية. فتسليط الضوء أولًا على التشرذم الداخلي مدخل قوي إلى النظام، ويمكن أن يبني النظام على إثارة الفتن بين أهالي السويداء وتأجيج الخلافات بينهم، وهي الطريقة المتبعة في (جبل السماق) في إدلب، فقد قصف النظام المنطقة المحيطة بجبل السماق، ولم يقصف جبل السماق، لأن النظام بخبثه، لم يرد تحريك هذه الأقلية ضده، وفي الوقت نفسه استخدم هذه الأقلية ضد الأكثريات المحيطة، وهذا على النقيض من (كفريا) و(الفوعة) الشيعيتين. ومن هنا، نريد البناء على ألا يثير النظام الفتن بينهم، وأتذكر مثلا في عام 2019 عندما وقعت الفتنة بين (صلخد) ومدينة السويداء، لعب النظام على إثارة هذه الفتنة، باعتبار أن وواحدًا من أهالي صلخد الذي كان عضوًا في لجنة المصالحة اختُطف في مدينة السويداء، لذا صار النظام يسوغ مناطقيًا أملًا في حصول اشتباكات بينهما، ثم يدخل النظام ليؤكد أنه وراء استتباب الأمن.

أتذكر كيف منع أهالي صلخد من دخول السويداء، والعكس صحيح، ففي تلك المرحلة أكسب النظام شيوخ طائفة العقل بعدًا زمنيًا أقوى، أتاح لهم التدخل بصورة أقوى أيضًا، وأكد الشيخ يوسف الجربوع وقادة الفصائل من شيوخ المدينة الموجودين في صلخد أنهم تابعون للجيش السوري، ويقفون وراء أجهزته الأمنية لمحاسبة أي مجرم، فمثلًا صار شيخ العقل يهدر دم المخالفين، ويعد بتسليمهم للنظام، هذه الفتنة المناطقية لا نريد لها أن تحدث في السويداء.

ينبغي المحافظة على الهرمية العشائرية، في سهل حوران؛ في درعا والسويداء، قوية قدر الإمكان، لأنها قادرة على إنتاج مراكز قوى محلية اعتمادًا على النظام الاجتماعي في السويداء، وهو في نظري حتى الآن -على الرغم من المذهبية الدينية- يخلق حالة من التوازن.

أما التدخلات الخارجية، فما دامت الدول الكبرى موجودة، لدينا فكرة المصالحات، وفكرة التحالف، ومن الطبيعي أن نحاول قدر المستطاع ألا يدخل إلى هذه الأقلية في السويداء الطرف الخارجي، فالخارجي ما إن دخل مكانًا، أفسده. وألاحظ حتى الآن أن في السويداء تغلغلًا إيرانيًا، باعتبار أن أهالي السويداء الأقرب إليهم مذهبيًا، وهم الأقرب إلى شجرة الانشقاقات الإسلامية، وقد طبقت هذه الصياغة الدينية في (البوكمال) في دير الزور، وكانت ممرًا لتدخل إيران في السويداء، وتمويل الخلايا والميليشيات الأمنية فيها.

نجحت إيران في اللعب على الوتر العاطفي لدينا نحن السوريين للدخول إلى السويداء عن طريق تشكيل ميليشيا درزية أطلقت عليها اسم (لبيك يا سلمان) التي حصلت على دعم إيراني مادي كبير. وسوقت في الوقت نفسه لوجود بعض المقامات الشيعية في المحافظة، ولإيران خبرة في هذا الموضوع على المستوى العقائدي، ففي عام 2014 أسست لِ (مكتب الدراسات التوحيدية) في دمشق، بمعنى أنه مقر ليس في السويداء، ولكنه يعمل على الخدمات الاجتماعية للدروز فقط.

استغلت إيران فكرة العشائر أيضًا، ولعبت على تشكيل (مجلس العشائر العربية)، ونصبت أميرًا على جبل العرب من آل (بوعساف) كي يكون له وزن شعبي يستمد شرعيته من إيران.

مضر الدبس: دكتور سامر إذا قلنا إن المزاج العام يرفض التدخل الإيراني بحسب إشارتك، ماذا عن الدول الأخرى تتغلغل في سورية حديثًا بصورة أو بأخرى مثل الأردن، ويقول مكرم رباح إن أيمن الصفدي في الأردن له صلة بما يحدث في السويداء، ما يعني أن الأردن استنادًا إلى ذلك ستتدخل، وبطبيعة الحال إسرائيل تحاول أن تتدخل أيضًا. إذن، ما الدروس المستفادة لدى السوريين منذ عام 2011 في إدارة هذا الملف من دون وجود سياسة خارجية وطنية واضحة المعالم عند (المعارضة السورية)؟

سامر بكور: لدينا الآن الدول المستفيدة التي تحافظ على الأمن الإقليمي فقط، مثل سياسة تركيا التي تعنى بالأمن الإقليمي ، والقوة العسكري، أما الأردن، فعني منذ 2011 حتى 2020 بالأمن الإقليمي أي عدم دخول إيران إلى المنطقة، ففي معركة (عمود حوران) التي تقدمت فيها قوات النظام، مع ميليشيات كبيرة من حزب الله والحرس الجمهوري، حتى وصلت إلى حدود القنيطرة؛ تدخل الأردن بتشكيل ما سمي (جيش العشائر) في سورية، زودته بأسلحة ثقيلة لمنع وصول القوات أو الميليشيات إلى الحدود، إضافة إلى منع وصول داعش وجيش خالد بن الوليد إليها أيضًا.

ما تحدث عنه د. مكرم مبادرات فردية، لا أعرف أذا كان بإمكانها التطور إلى ممارسات جماعية أو لتحرك دولة، فللأردن سياسة ذات أهمية كبرى بالنسبة إليها؛ فتح الحدود مع سورية لأغراض اقتصادية وريع الآتي عبر معبر (نصيب)، بينما لا تملك إيران وروسيا في المنطقة مصالح من هذا النوع. ففي قمة الدول السبع عام 2018 التي عقدت في المملكة المتحدة، نودي بالمصالحة بين النظام والمعارضة -عاصفة الجنوب- وكان أحد أهم بنودها تحديد خط بعمق 30 كم بدءًا من الحدود، لا تتقدم إليه الميليشيات الإيرانية والمعارضة. أما روسيا، فأهدافها تشبه أهداف إيران، وإن كان همها الأساس تقليص الدور الإيراني في السويداء، فبعد المصالحات مع السويداء -خاصة في عقب اغتيال البلعوس- ما تزال الجولات المكوكية لقادة روسيين، تهدف إلى استعادة هيبة الدولة السورية، وتريد روسيا أن تثبت من خلالها أنها تدعم شرعية دولة وتخلق الألفة بين الأهالي وروسيا كما أرادت أن تقلص وجود هذه الميليشيات على الأرض، وتحجم قوة إيران هناك. لم تنكشف السويداء خارجيًا مثل ما كشفت في 2017 حتى الآن، صار هناك زيارات إلى مضافات زعامات تقليدية موالية للنظام، وتنسيق كبير بين جمعية البستان وحزب الله السوري والحزب السوري القومي اللذين خلقا في السويداء، وهذا ما أرادت روسيا تحجيمه عن طريق فعل ما فعلته في درعا، أي خلق الفيلق الخامس لأحمد عودة، لذلك أرادت خلق فيلق خامس تابع لروسيا فقط، لتحجيم الدور الإيراني، لكن شيوخ الكرامة وقفوا في وجه ذلك، فبعد أن كانوا مصرين على التجنيد للدفاع عن السويداء فقط، أرادوا التجنيد ضمن المنطقة الجنوبية. لروسيا مصالح كبرى، فلديها أداة للضغط على إسرائيل، أعني نقاطًا حدودية على حدود السويداء، أي إسرائيل والقنيطرة، والأردن أيضًا، لذا أرى أن من الضروري أن يتنبه أهلنا في السويداء إلى تحجيم القوى الخارجية، خاصة إيران وروسيا، بالتعويل على الوعي السياسي والبنية المجتمعية القوية في السويداء. شهدت سورية بين 2011 و2020 أكثر من ألف فصيل مسلح، وعلى الرغم من ذلك ما زالت احتجاجات السويداء سلمية، وحتى لو تطور الوضع، أتمنى ألا يوجد إلا فصيل واحد فقط، وألا يتجزأ، ففي ذلك انهيار السويداء.

مضر الدبس: ما رأيك د. مكرم بمحاولة تجنب التدخل الخارجي قدر المستطاع، وتحديدًا روسيا وإيران؟

مكرم رباح: أوافق د. سامر الرأي، ولكن في الوقت نفسه ليست كل التدخلات سيان، وهو أمر أساسي في لبنان، فعلاقة السوريين مع الجهات الخارجية مختلفة، صحيح أن الروسي موجود في سورية، لكن الإيراني خطته مختلفة، فمثلًا يقول يوجد هنا مقام، وإذ به يحول الناس إلى مذهب مختلف، وهذا ما يحدث في السويداء، على صعيد تصنيع

الكبتاغون، فأحدهم يؤجر محلًا لأغراض تجارية، وإذ به يتحول إلى مصنع للمخدرات. أرى أن من المهم وضع أولويات، فعلاقة المكونات الموجودة بالمنطقة مع روسيا قد لا تصل بهم إلى ما تصل إليه علاقتهم بإيران.

لذا أرى أنه ينبغي أن يتوافر قاموس معين لما تريده الأمم، فصحيح أن الأردن له دور أساس في ما يحدث في السويداء، لكن تدخله في الوقت نفسه مبرر بان تجارة المخدرات يمكن ان تضرب أمنه الإقليمي، ما أرمي إليه أن لكل دولة أسبابًا مختلفة للتدخل في سورية أو لبنان.

مضر الدبس: وكأنك تبرر التدخل. سُرِّب مثلًا أن الشيخ الهجري تواصل مع روسيا قبل مدة، هل لهذا التواصل بتقديرك ما يبرره أم إن التواصل مع روسيا مُرحَّب به، أما مع الإيرانيين، فلا؟

مكرم رباح: الروسي والإيراني مختلفان، وأسباب وجودهما في سورية مختلفة، وإن كنت أرى أن الإيراني أخطر بكثير، والطريقة اللي عم يتعاطى فيها مع المكونات الوطنية والسنية مختلفة تمامًا. فملاحظة كيفية تعاطي الإيراني مع المنطقة تبين أن لا أهداف سياسية لديه، إنما أهدافه لوجستية (عَمَلانية) تعرض هذه المناطق للخطر، فإنشاء معامل كبتاغون في القرى الدرزية يحولها إلى أهداف شأنها شأن قرى جبل لبنان بتحويلها إلى مستودعات للذخيرة، ما يجعل منها أهدافًا عسكرية. لا أبرر التدخل طبعًا، لكن هل يحق للهجري التواصل مع روسيا؟ نعم، إذا صب هذا التواصل في مصلحة دروز سورية.

مضر الدبس: كثيرون يرون أن روسيا أيضا قتلت السوريين بالطريقة نفسها التي استخدمتها إيران، ومن هنا يخشى البعض أن يُفقِد مثل هكذا تعامل (إن تم) مع الروسي الحراكَ شعبيته وقوته على المستوى الوطني

مكرم رباح: علاقة السوريين بروسيا بصورة عامة جزء من الثقافة السورية، وكذلك العلاقة الدرزية الروسية، فسوريون كثر درسوا في روسيا، وعلى الرغم من دخولها إلى جانب النظام، ينبغي وضع أولويات لعلاقة السوريين بالجهات الخارجية، من دون أن أبرر طبعًا، فأي خطوة يمكن أن تهدد السيادة السورية، ما يعني أن وضع الجميع على قدم المساواة يجعلنا غير واقعيين في مقاربتنا للسياسة الخارجية.

المحور الثالث: توصيات مكثفة

مضر الدبس: ما التوصيات التي يمكن أن نخرج بها من هذا اللقاء؟

مكرم رباح: أولًا: التشبيك أكثر وأكثر مع مكونات المجتمع السوري، واستعمال وسائل الإعلام استعمالًا أذكى وأكثر إستراتيجية، فنقاط كثيرة اليوم تحتاج إلى توضيحات، ولا يكفي أن تكون متداولة عبر وسائل التواصل الاجتماعي فقط. ثمة حاجة إلى توثيق دقيق لجرائم النظام التي يرتكبها ضد السويداء، على أن تُستَعمل تلك الأدوات للتواصل مع الداخل السوري، والخارج أيضًا.

أرى أن الشعب اللبناني ينبغي أن يفهم أن هذا الحراك في السويداء ليس حراكًا درزيًا، بقدر كونه حراك منطقة درزية كغيره من الحراكات في مناطق أخرى من سورية، ومن ثم، ينبغي أن يؤسس لمجلس من الحكماء يضم رجال دين

والجسمانيين، ويتواصل مع مراكز القرار في الخارج، ومع شخصيات مهمة في العواصم الرئيسة. ثمة حاجة إلى مسح دقيق للتحديات، والحوار السياسي عالي المستوى؛ الحديث في قضايا الدستور والحوكمة في ما يتعلق بمستقبل سورية، و التغني بالهوية الدرزية كونها هي أحد المكونات المؤسسة للكيانات في المنطقة، سواء في فلسطين أم في لبنان وسورية. على الدروز أن يبدؤوا بطرح هذه الأسئلة الكبيرة عمّا سيحدث بتحالف الأقليات، وما حدث في فلسطين، وما تقوم به إيران وروسيا في المنطقة، و هذا التردد الأميركي الذي أوصل المنطقة إلى ما هي عليه، يضاف إلى ذلك واجب أساس بالتواصل مع العالم العربي.

لا أرى بأنه ينبغي أن يُترك النظام السوري للتكلم مع الخليج العربي، ولا سيما بأن الاتصالات الخليجية مع هذا النظام اتصالات أمنية أكثر من كونها اتصالات سياسية، وليس علينا التردد في أن نفتح هذه القنوات، ففي نهاية المطاف لن يستطيع نظام الأسد أن يؤمن هذه الضمانات الأمنية للدول الخليجية، ومن هنا علينا أن نكون جاهزين للدخول في هذه المناقشات.

ينبغي التداول في تلك الأسئلة والتحديات للوصول إلى مفردات مشتركة، ونقاط اختلاف، من أجل الحوار، والوصول إلى أفكار مستقبلية.

مضر الدبس: هل لديكم إضافات على التوصيات د. سامر؟

سامر بكور: أنطلق محليًا من ضرورة دعم فكرة السلمية في احتجاجات السويداء، وعدم ترك الأمر على عفويته، فالعفوية غول، لا يُكبح إلا بالتنظيم، فمن أسباب تحول الثورة السورية إلى العسكرة العفوية وفقدان التنظيم. لذا، يمكن زيادة نقاط التظاهر في السويداء. يضاف إلى السلمية التضامن المجتمعي، بمعنى التركيز على نشاط جماعي بين المحتجين، وعدم خلق شعور بالعدائية بين الناس؛ المشاركين في الاحتجاج وغير المشاركين، كي نتجنب المطب الذي وقعت فيه الثورة، عندما وصفت غير المشاركين في التظاهر بـ (الموالين)، فغير المشاركين في حراك السويداء متضامن مع المشاركين فيه، وإن لم يعبر عن ذلك.

أوصي بمحاولة كسب الرموز من الشخصيات المحلية، لتسليط الضوء أكثر على الحراك، والترويج له، وفتح قنوات سياسية على مبدأ التحالفات السياسية مع الناس الوطنيين، سواء من أطراف معارضة، وما أكثرهم، أو من شخصيات محسوبة على أطراف أخرى. لا بد من الحذر من التشرذم أو التدخل الخارجي، فأيًا كان هذا الخارجي، لديه أجندة يرغب في تحقيقها، وقد يؤدي ذلك إلى تثبيط الاحتجاجات.

قنوات التواصل مهمة، لأنها تمنح القدرة على التفاوض، فإذا ما صارت هذه الاحتجاجات على المحك، ستعمل الجهات الخارجية على التدخل، ما يعني الحاجة إلى إستراتيجيات للتواصل لتعزيز موقف الحراك على المستوى الدولي.